الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامـــعة الشهيد الشيخ العربي التبسي تبسة
كلية الآداب واللغات

أدب الوباء في رواية
إيبولا 76 لأمير تاج السرّ
دراسة موضوعاتية

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر تخصص أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين :

- **سكينة بولعراس**
- **نبيلة حفظ الله**

إشراف :الأستاذ

د. مكي سعد الله

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة
بلقاسم رحمون	أستاذ محاضر – أ –	رئيسا
مكي سعد الله	أستاذ محاضر – أ –	مشرفا ومقررا
علاوة ناصري	أستاذ محاضر – أ –	عضوا مناقشا

السنـــــــة الجامعيـــــــــة

2022 – 2023

بسم الله الرّحمان الرّحيم :

قال تعالى :

﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾

[النمل: الآية 41]

الإهداء

إلى من علمتني أن الإصرار و العزيمة حافزان إذا ما رافقا الفرد
يحطان به في برّ النجاح...
*** أمي الرؤوم قرة عيني ***
إلى من علمني أن الشجاعة ليست بالصرع و القوة إنّما هي
تجاوز للصعاب والمشقات بصبر وثبات ...
*** أبي المعطاء تاج رأسي ***
إلى سندي في الحياة وتوأم روحي أختي الحبيبة الغالية
أريج وإلى زوجها نزار
إلى كل وأخواتي كلا باسمه (سيرين – حذام لدمية – تسبيح)
حفظهم الله ورعاهم ومنحهم أعلى المراتب في الدارين
إلى أستاذي الذي رافقنا في هذه الرحلة الشاقة والبحث المضني الدكتور
** رشيد وقاص**
إلى أحبتي وكل من يعنيه نجاحي و يسعده تفوقي إلى من عزز
ثقتي بنفسي و كان لي متكئا ومن مضى بي قدما ... أهديكم
هذا العمل المتواضع
دمتم لي ذخرا ودمت لكم فخرا والله المستعان

** أروى دويشين**

الإهداء

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

لم يبق لآخرين ما يقدمونه لي ... فإن والدي قد فعل كل شيء

إلى سندي وملجئي الآمن ... داعمي ومشجعي الدائم ... حين ينادونني

باسمه أسعد وأزدهي ... بأنني ابنته وثمرته ... من رأيت انعكاس نجاحي

وفرحي بريقا في عينيه ، لا أستطيع أن أقول لك شكرا فهي تقال إلاّ في

النهايات وأنا أرى نفسي دائما في البداية ... إلى من جعل نفسه شمعة

تحترق لتضيء لنا درب النجاح أرجو من الله أن يمد لنا بعمرك لترى

ثمارًا قد حان قطافها إليك نبض قلبي ** حفظ الله ميلود **

إذا رُزقت بفرحة *** فأبدأ بها مع أمك

رفيقتي وأماني ... بطلتي ومعلمتي الأولى ... من علمتني معنى الحنان

والعطاء معنى الصبر والقوة والحبّ من كان دعاؤها ورضاها واصلتُ به

في مسيرتي حفظك الله ورعاك غاليتي إليك سعادتي *** حفظ الله حضرية ***

إلى أستاذي المشرف ** مكي سعد الله ***

إلى المحبة التي تفني الخير بلا حدود إلى من شاركتهم كل حياتي

أختي أنيسة وزوجها حليم – إلى أخي رشدي وزوجته هاجر

وإلى عمتي وابن خالتي راضية وإلى جارتي دنيا

وخاصة براعم العائلة سهيلة – مروى – دعاء – أيمن

وإلى كل عائلة حفظ الله وكل صديقاتي – مناعي فريدة – بسمة – بوعلاق سلسبيل

– بوعلاق ريتاج – عزاز فاطمة – بوحوس هويدة – شيماء

وإلى صديقتي التي شاركتني في العمل بولعراس سكينة وإلى كل أحبتي وأخواتي

وكل من عرفتهم في مسيرتي الدراسية *** حفظ الله ****

شكر وعرفان

قال الله تعالى : « ربي أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدي وأن أعمل عملا صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين»

نرفع جزيل شكرنا وامتنانا وكذا جميل عرفاننا لأساتذتنا الذين أناروا دربنا وشرحوا صُدورنا وعشنا في ظلال فردوسهم المعرفي .

ونتقدم بخالص الشكر والتقدير للأستاذ المشرف الدكتور مكي سعد الله على نصائحه وملاحظاته القيّمة ، كما لا ننسى كل أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الشيخ العربي التبسي الذين لم يبخلو علينا بأية معلومات .

والحمد لله الذي أعاننا على إتمام هذا العمل المتواضع

مقدمـــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على مبعوث رحمة للعالمين أما بعد :

من سنن الله تعالى الكونية وقوع ابتلاءات وأوبئة وأمراض عامة ليُظهر الله سبحانه وتعالى قدرته للعباد وليُريهم آياته في الآفاق ، حتى يُبين لهم الحق من الباطل ، ودائما ما كان الأدب معاصرًا للأحداث الجارية في العالم ، ولا يختلف الوباء عن أي حدث مرّ عبر التاريخ لأنّه نشر الخوف والرُعب وما سبّبه من موت وفقد للأحبة ، فهذا الجو المرعب قد يكون دافعًا للعديد من الأدباء والشعراء لإطلاق إبداعهم ، فمن رحم المعاناة يولد الإبداع ، فنتجت أعمال أدبية عالمية تستحق التقدير ، تسجّل في ذاكرة الإبداع وقد صُنِّفت هذه الأعمال ضمن أدب الوباء الذي يُعد من بين أهم المواضيع التي تناولها الأدب سواء شعرًا أو نثرًا وتكمن أهمية هذا الموضوع في كونه يناقش من زاوية أدب المآسي والكوارث التي تُسببها الوبائيات الفتّاكة في المجتمعات البشرية وتهدف هذه الدراسة إلى كشف الصورة التخيلية التي رسمتها رواية إيبولا 76 وعن المأساة التي خلّفها وباء إيبولا في مناطق التداخل بين السودان والكونغو سنة 1976 وبما أنّ رواية إيبولا تصوّر لنا الواقع الاجتماعي السائد في تلك الفترة وأنّها عمل سردي نثري تقترب من عالم الحياة الإنسانية وتفاصيلها اليومية ، ومن هنا اعتمدنا موضوع بحثنا عنوان « أدب الوباء في رواية إيبولا لأمير تاج السرّ ، دراسة موضوعاتية » ومن الأسباب التي دفعتنا إلى كتابة هذا الموضوع :

أسباب ذاتية :

السعي إلى إثراء الدراسات الجامعية بخصوص هذا الجنس الأدبي ، ورغبة علمية وفضول علمي في الغوص أكثر لمحبتنا ومعرفتنا لهذا الموضوع والتعاطف مع أحداث هذا الموضوع خاصة بعد الموجة الأخيرة التي شهدناها جراء وباء كورونا وهذا ما جعلنا نتشوق للإطلاع على أشهر الأوبئة التي ضربت العالم وما خلفته من دمار مادي ومعنوي على البشرية .

أسباب موضوعية :

تتمثل في دراسة أهم التمظهرات الاجتماعية والثقافية والنّفسية حيث تنطلق دراستنا من التمثلات الوبائية في رواية إيبولا 76 لأمير تاج السرّ الذي يصف لنا

الحالات الاجتماعية التي عاشها مجتمع الكونغو جنوب السودان من فقر وجهل وتخلّف وبطالة وانحلال الأخلاق ، فهو يُحاول إيصال لنا أنّ هذه الأوضاع السائدة في المجتمعات الإفريقية هي الأخطر من فيروس إيبولا ولمعرفة هذا نطرح العديد من الأسئلة حول هذا الموضوع :

- فيما تكمن علاقة الأدب والإبداع عموما بالأوبئة ؟
- ما هي أشهر الأوبئة التي مرّت عبر التاريخ ؟
- كيف تفاعل الأدب مع الوباء ؟
- وفيم تكمن تجليات الوباء في الرواية ؟
- فيم يكمن الاستشراف والخيال العلمي في الرواية ؟
- وما هي مخاطر هذه الأوبئة ، وكيف مزج الكاتب بين الواقع الخيال ؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة رسمنا خطة بحث نسير عليها بدءًا بالمقدمة للولوج في صميم البحث وسبر معالم هذه الرواية ثم أتبعناها بفصلين :

الفصل الأول : تناولنا فيه الأوبئة وتاريخها

المبحث الأول : مفهوم الوباء

1-الوباء (لغة واصطلاحا)

2-أشهر الأوبئة التي مرّت عبر التاريخ

المبحث الثاني : علاقة الأدب بالوباء

1-مفهوم أدب الوباء

2-تفاعل الأدب مع الوباء

الفصل الثاني : يتم فيه تطبيق تمظهرات الوباء في رواية إيبولا 76

- تمهيد

المبحث الأول : صورة الوباء في رواية إيبولا 76

1-إيبولا الوباء القاتل

2-التمظهرات أو الجوانب الاجتماعية والصحية والسياسية والبعد الديني والعقائدي والطبي والثقافي

المبحث الثاني : التصورات الواقعية والخيالية

1-البعد الواقعي والخيالي

2-الاستشراف والخيال العلمي والخيال في الرواية

وختمنا بحثنا بخاتمة جُمعت فيها أهم النتائج المتوصل إليها في نهاية الدراسة

والمنهج المتبع في هذا البحث المدروس هو المنهج التحليلي باعتماد على تقنيات أخرى كالوصف في تفكيك المشاهد والمواقف واستقراء الجماليات ومنهج اجتماعي يتمثل في سعيه إلى إقامة علاقة بين الإبداع الأدبي والمجتمع ويبقى في وعي دائم بضرورة النظر إلى الإبداع الأدبي على أساس مجموعة من الظواهر السياسية والثقافية والتاريخية ، بخصوص الدراسات السابقة نجد متوالية الأوبئة في السينما والفن التشكيلي زيتوني عبد الرزاق وعبدو نادية جامعة أبو بكر بلقايد بتلمسان – الجزائر

وأدب الأوبئة في التراث النقدي والبلاغي دراسة في شعر علي درويش ونقولا الاسطنبولي محمد سالم جامعة سلطان زين العابدين – ماليزيا – .

واستندنا في بحثنا المُعنون بـــ أدب الوباء في رواية إيبولا 76 لأمير تاج السرّ دراسة موضوعاتية بـــ 3 مراجع مهمة من أجل دراسة هذا البحث .

1-شلدون واتس " الأوبئة والتاريخ المرض والقوة والامبريالية "

2-الموت الأسود سلسلة الحياة اليومية عبر التاريخ جوزيف بيرن

3-مجلة سراج مكي سعد الله ، الحسين الوكيلي ، العربي عكروش ، عصام حسن الأطرش

وقد واجهتنا العديد من الصعوبات ومن بين هذه الصعوبات صعوبة في انتقاء معلومات تُصَبُ في صلب الموضوع ، وخاصة أن الموضوع غير مدروس من قبل وقلّة المراجع وضيق الوقت .

وفي الأخير الشكر لله عز وجل على نعمة العقل والعلم والصحة التي منحها إيانا لإكمال هذا البحث ولا ننسى كذلك أن نتقدم بالشكر الجزيل ومع فائق الاحترام والتقدير للدكتور مكي سعد الله الذي له كل الفضل في إنجازه ، ولجنة المناقشة التي تكبدت عناء القراءة والحمد لله.

الفصل الأول :

الأوبئة وتاريخها

تمهيـــــــــد

الفصل الأول : الأوبئة وتاريخها

المبحث الأول : مفهوم الوباء

1- الوباء

أ- لغـــــــة

ب- اصطلاحا

2- أشهر الأوبئة التي مرت عبر التاريخ

2-1- وباء أثينا 430 قبل الميـــــــلاد

2-2- طاعـــون عمـــــــواس 640 م

2-3- الطاعون الأسود : الموت الأسود 1331ه – 1447 م

2-4- الكوليرا (1817 م – 1823 م)

2-5- فيروس كورونا المستجد (كوفيد 19) 2019 – 2022

المبحث الثاني : علاقة الأدب بالوباء

1- مفهوم أدب الوبـــــاء

2- تفاعل الأدب مع الوباء

تمهيد :

يتعرض العالم دائمًا إلى نكبات متوالية تؤثر سلبًا فيه عمومًا وفي الإنسانية خصوصًا، ومن بين هذه النكبات نجد الأوبئة ، فقد مرّت البشرية منذ القِدَم بعدّة أوبئة خطيرة كانت السبب في موت الكثير من البشر ، فهي فتاكة ، وتأتي فجأة وبسرعة لتقضي على مناطق ومدن ودول ، وتؤدي بهلاك الكثير من السّكان ، وقد مُنِحَ لتلك الأوبئة أسماء شعبية في كل منطقة سواء استلهمها من أعراضه التي كانت تظهر على المصاب أو من الآلام التي يحس بها ، وقد خلف هذه الوباء العديد من الأضرار ليست على الصّعيد الصّحي فقط بل الاجتماعي والاقتصادي والنّفسي أيضا ، وقد يؤدي انتشار مرض معدي سريع الانتقال في أنحاء المعمورة إلى مقتل عشرات الملايين من النّاس وتعطيل الحياة الاقتصادية وزعزعة الأمن الوطني وتغيير المناخ والتّوسع العمراني ، وقد أخذ هذا الموضوع مكانًا متميّزًا في الأدب العالمي والتراث الأدبي العربي ، فتجربة الألم وكتابته تجربة استثنائية حرّكت أقلام الكثير من المبدعين ، فهي تشكل مصدرًا غنيًا للكتابة الأدبية، وتلعب دورًا فعّالاً في غزارة الانتاج الأدبي على مرّ العصور قديمًا وحديثًا ، فميزة المُبْدِع هي قول ما يشعر به الآخرون ولا يستطيعون وصفه ، سواءً شعرًا أو نثرًا ، فالأدب يعكس حياة المجتمع وبالتالي فإن الأوبئة تستفزُ الكُتَّاب فيتناولونها في أعمالهم الأدبية فعلى سبيل المثال **وقع طاعون عمواس** الذي يعتبره ابن قتيبة ، أول طاعون في الإسلام في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، كما شهدت بلاد الشّام ومصر وأوروبا وفي العصر الحديث الكثير من الأوبئة في المجتمعات كالكوليرا وفيروس كورونا ، الجُدّري ، إيبولا ، ونجد الأدباء يخوضون في ميدانها واصفين حجم المأساة ومدى انتشارها مُبينين آثارها في المكان ويسلطون الضوء على أوضاع الإنسان وردّة فعلها اتجاهها وقد عمد معظمهم إلى وصف حالة الملازمة لتفشي الوباء ويظهر موضوع الأوبئة في أدب العصور الإنسانية المختلفة قَدِيمُهَا وحَدِيثُهَا ومن بين الأعمال الأدبية التي تناولت موضوع الأوبئة نجد الرّوايات التي كان لها حضورًا أوفر في الأدب مثال ذلك :

- رواية « الموت في البندقية » لتوماس مان 1912 م .

- رواية « الطاعون » للروائي الفرنسي ألبير كاموا 1947 م .
- رواية « حب في زمن الكوليرا » للكاتب غابريال غارسيا ماركيز 1985م .

El Amor en los timpos del colera

Death in venice

- رواية « العمى » لجوزيه ساراماغو 1995 م.

En saio sobre a cegueira

وقد أثرت تلك الأوبئة في الطب والاقتصاد والأدب والسياسة وكافة الأشياء التي تتعلق بالبشرية ، وبهذا واكب الأدب العربي شعرًا ونثرًا هذا الحدث العظيم ، أمّا شعرًا فيقول ابن تغرى بردي :« وقد أكثر النّاس ذِكرا هذا الوباء في أشعارهم » ، أمّا في النثر فأول بدايات ظهور أدب الوباء كان في فن الرّحلات والرّسالات مثل رحلات ابن بطوطة التي وصف فيها الوباء ، فنتجت أعمال أدبية خالدة ، فكان الأدب راصدًا وشاهدًا على العديد من القصص الإنسانية التي تصاحب هذه الأوبئة والمُفْعمة بالمشاعر المتناقضة بين الألفة والفراق والذعر من الفقد والخشية من دُنوِ الموت والتّرقب لبصيص الأمل والرّجاء لعفو الله وهذا النّوع من الأدب يُسمى بأدب الأوبئة وهو أحد أنواع الآداب التي لا تقل عن غيرها ، وسوف نتطرق في هذه الدّراسة إلى أهم تلك الأوبئة وتاريخ حدوثها وعلاقة تلك الأوبئة بالأدب .

الفصل الأول : الأوبئة وتاريخها

المبحث الأول : مفهوم الوباء

1- الوبـــــــــــاء :

الوباء كارثة إنسانية ، فسُنة الله في خلقه الابتلاء وسنته لا تتغير « وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ » [1]. فكم حصدت الأوبئة والطواعين قديمًا نفوسًا وأزهقت أرواحًا، وأجبرت النّاس على ترك منازلهم واللجوء إلى بلاد أخرى ، ويحدّثنا التاريخ الإنساني عبر مصادر مختلفة المقدّسة والغير مقدسة عن أقوام كانوا أشداء وأمسوا صرعى أضحوا هلكا وهناك من يظن أن هذا الوباء هو غضب الآلهة ومنهم من اعتبره موضوعًا لاختبار ذكاء القادة في الأساطير اليونانية قديمًا .

أ- لغـــــــــــــة :

لقد ورد في القرآن الكريم العديد من الآيات التي تتحدث عن أسباب وقوع الأوبئة مثلا في قوله تعالى : « وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ » [2]. فيخبرنا سبحانه وتعالى أنّه لابد أن يبتلى عباده بالمحن ليتبين الصّادق من الكاذب والجازع من الصابر ، هذه سنة الله في عباده ، إذًا فالوباء ابتلاء واختبار لمعرفة مدى إيمان العبد وأيضًا تذكيرًا للعباد إذا غفلوا ومنها ما يكون على مستوى الفرد خصُوصًا وعلى مستوى الجماعة عامةً ، ومنها ما يُمس الأرض كلها كي يعلم النّاس حجمهم فلا يتكبروا ولا يتغطرسوا .

لقد ورد في الحديث الصحيح عن أسامة بن زيد رضي الله عنه أنّه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الطَّاعونُ رِجْزٌ أُرسِل على بني إسرائيلَ أو على مَن قبْلَكم... » [3]. أي ّ أنّ الطاعون عقاب من الله للذين أفسدوا في الأرض وطغوْا فيها .

- جاء في لسان العرب لابن منظور 711 هـ

---

[1] - سورة الأنبياء : الآية 35 .
[2] - سورة البقرة : الآية 155 - 156 .
[3] - الحديث أخرجه مسلم في صحيحه ، رواه زيد بن حارثة ، (د.ط) .

الوباء : الطاعون بالقصر والمَدِ والهَمْزِ ، وقيل هو كل مرض عام وفي الحديث إن هذا الوباء جَرُ و جَمْعُ الممدود أوبئةُ وجَمْعُ المَقصُور أوْبَاءُ ، وقد وبِئتِ الأرض تَوْبَأُ وَوُبُوآتْ وبِاءً ووبَاءَة ... [1].

قوله « وَبَاء وَوَبَاءَةُ ... إلخ » كذا ضبط في نسخة عتيقة من المحكم يوثق بضبطها في القاموس بفتح ذلك .

وإباءة على البدل ، وأوبأت ، إيباءًا ، ووُبئت وَبَاءَ وأرضُ وَبيئةُ على فَعَيلة وَوبئةُ على فِعْلة ، وموبُوءة ومَوْبِئَةُ كثيرة الوباء ، والاسم البئةُ إذا كَثُر مَرَ منها واستوْبأتُ البلد والماء.

– وجاء في معجم الوسيط :

وَبئت الأرض (تَوْبَا) وَبَاَ : كَثُرَ فيها الوباء فهي وبيئة .

(وَبِئتِ) الأرض توبَا وتَبَاَ كَثُر فيها الوباء .

أوبأتِ الأرض وبئت ، وفلان إلى الشيء أشار يقال ركِيَّةُ الوباء جمع أوبئة وأُوْبية [2].

ونجد جُلَّ المعجمين العرب ذهبوا إلى نفس المذهب فيما يتعلق بالمرجعية اللغوية للمصطلح اللغوي للوباء فكل التعريفات تصب في قالب واحد .

ب– اصطلاحـــــا :

إنّ مصطلح « وباء » Epidemic جمع أوبئة ، انتشار مفاجئ وسريع في رقعة جغرافية ما ، فوق معدلات المعتاد في منطقة معينة وقد عرفت القرون الوسطى الوباء باسم « الموت الأسود » .

وعُرِّفَ الوباء بأنّه « مصطلح عام يشير إلى أحداث متتابعة تؤثر على البشر والكائنات الحيّة المختلفة من حيوان ونبات ، ولا يشترط أن نتفق في النّوع ، وقد يحدث في نطاق محدد ، وقد نتسع رقعة الوباء لتنتشر بين بلدان العالم ، وقد تكون دلالة على

[1] - جمال الدين محمد بن منظور : لسان العرب ، ج18 ، باب الواو ، دار الصادر ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 2003 ، ص 190.

[2] - إبراهيم مصطفى ، أحمد حسن حامد عبد القادر ، محمد على النجار : معجم الوسيط ، ج1 ، المكتبة الإسلامية ، ص 1008.

مرض أو فعل أو سلوك » [1]. وهو ظهور مرض معين في عدد كبير من النّاس في نفس الوقت والمكان مع أعراض متشابهة وتعتمد سرعة انتشار الوباء على الوسائل التي ينتقل بها المرض ، هناك أنواع من الأوبئة تكون أعراضها ظاهرة ، وبعضها يحتاج إلى قياس وتحاليل وعادة ما يكون خلال فترة زمنية تبدأ من إعلان أول حدث وتنتهي بإعلان السيطرة عليه من قبل السلطات المختصة .

الوباء يعرّف على أنّه حالة انتشار لمرض معين ، حيث يكون عدد حالات الإصابة أكبر ممّا هو متوقع في مجتمع محدد أو مساحة جغرافية محددة أو موسم أو مدّة زمنية ، فهو سريع الانتشار ومعدي وينتقل من شخص إلى آخر .

وتتفق منظمة الصّحة العالمية مع نفس التعريف حيث عرّفته بأنّه ظهور أمراض معدية في دول أو مجتمع وينتشر بصورة سريعة بين النّاس .

ويقول النّووي بأنّه «مرض الكثيرين من النّاس في جهة من الأرض دون سائر الجهات ويكون مخالفًا للمعتاد من أمراض في الكثرة وغيرها ويكون مرضهم نوع واحد بخلاف سائر الأوقات فإنّ أمراضهم فيها مختلفة » [2]. فهو يحدث في منطقة محصورة أو يمتد في عدّة مناطق وقد ينتقل من دولة إلى أخرى ويستمر لمدة طويلة وربّما لسنوات حسب درجة خطورة الوباء ، مخلّفًا ذلك العديد من الخسائر البشرية .

وأضاف ابن القيم في تعريفه للطاعون وهو مصنّف ضمن الأوبئة «وإذا وقع الخرّاج في اللحوم الرّخوة والمغابن وخلّف الأُذُن والأرنبة وكان من جنس فاسد ، يسمى طاعونًا وسببه دمُ رديء مائل إلى العفونة والفساد ، مستحيل إلى جوهر سُمِيٌّ العضو ويغير ما يليه ، وربّما رشح تام وصديد ، ويؤدي إلى القلب كيفية رديئة فيحدث القيء والخفقان والغشي... » [3]. إذن الأوبئة عمومًا أمراض معدية تسببها نوع من البكتيريا وفي هذا القول يبين لنا كيفية انتشار مرض الطاعون في الجسم وأعراضه ، فهو وباء معدي وشديد

---

[1] - مصطلحات طبية : الأمراض المعدية ، الوباء . اطلع عليه يوم 20-03-2023 12.31 سا https://www.altibbi.com

[2] - يحي بن شرف النووي : صحيح مسلم يشرح النووي مواقف للمعجم المفهرس للألفاظ الحديثة ، مؤسسة قرطبة ، ط2 ، اسبانيا ، 1994 ، ص 204 .

[3] - ابن القيم الجوزية : الطب النووي لابن القيم ، دار الفكر للطباعة ، ط2 ، بيروت ، 2006/10/30 ، ص 31 .

الخطورة ينتقل من عضو إلى عضو في جسد الإنسان مخلّفًا تعفنات في سائر البدن ، فينتج عنه آلام شديدة قاتلة يقول ابن حجر رحمه الله « ويفارق الطاعون الوباء بخصوص سببه الذي ليس هو في الشيء من الأوبئة ، وهو كونه من طعن الجن ... وهذا ممّا يؤدي أن الوباء أعم من الطاعون فإن وباء المدينة ما كان إلا بحمى ... » [1]. فكل طاعون وباء وليس العكس، فالطاعون أخص وأضيق من الوباء ، والوباء أعم وأوسع ويشمل عدّة أمراض أخرى ، فالطاعون أحد أنواع الوباء هذه العلاقة تمتد في الطب الحديث أيضا .

ويقول بدر الدين العيني في علاقة الوباء بالطاعون « الوباء عموم الأمراض فسميت طاعونًا لشبههما بها في الهلاك وإلاّ فكل طاعون وباء ، وليس كل وباء طاعون ويدل ذلك على أن وباء الشّام الذي وقع في عمواس وإنّما كان طاعونًا ... » [2].

زحف الوباء نحو كل أصقاع العالم وباغت الجميع بسرعة انتشاره حتى يخيم السكون على المجتمعات ، ويتم وقف النشاطات الثقافية والرياضية ، وحظرت إقامة الشعائر والطقوس الدينية في المعابد ، فبالتالي يعم الصمت ، وغُلقت الحدود التجارية ، أمّا بالنسبة للقاح المعالج للأوبئة فبفعل التقدم الهائل الحاصل ، بيع الأدوية والأمصال المناسبة لكل داء، أصبحت تلك الأوبئة تبدو جزءًا من الماضي ، ومع ذلك ورغم الجهود الجبارة المبذولة في ميدان الأبحاث الطّبية ، فقد وقف الإبداع الصيدلاني عاجزًا أمام بعض الأوبئة، هكذا تعامل العالم مع الأوبئة الفتّاكة وبرغم التّطور العلمي ، مازالت تشكل لهم شبحًا مخيفًا لطالما هدد حياة البشرية منذ بداية ظهورها « وأطل علينا في السنوات الأخيرة عدد لا يستهان به من الأوبئة الجديدة المهددة للنّوع البشري والتي تَكْمُنُ خطورتها في سرعة انتشارها ، وشدة فتكها، وصعوبة معالجتها من بينها مثلا : انفلونزا الطيور ، سارش ، المتلازمة التنفسية الحادة الوخيمة 2002 – 2003 ، انفلونزا الخنازير H1N1 2009 – 2010 مبرس ، متلازمة الشرق الأوسط التنفسية 2012 ، ايبولا 2014 ... وأخيرًا كوفيد 19 » [3].

---

[1] - ابن حجر العسقلاني : بذل الماعون في فضل الطاعون ، دار العاصمة ، ط1 ، الرياض ، 2005/07/06 ، ص 133 .
[2] - بدر الدين العيني : عمدة القارئ شرح صحيح البخاري ، إحياء التراث العربي ، ط2 ، بيروت ، 2001 ، ص 256 .
[3] - مجلة سراج ، ص 10 .

وقد تعايش النّاس عبر التاريخ مع الأوبئة ونالت منهم نَيْلاً عظيمًا وأرقت الإنسانية ومثلت تحديا حقيقيا لها فخطرها يهدد الجميع دون استثناء فلا تُفرّقُ بين صغير وكبير أو ثري وفقير أو حاكم ومحكوم ... كما لا تستثني مجتمعًا دون آخر ، متقدّمًا كان أو متخلّفًا، قويًا أو ضعيفًا .

الأوبئة وتاريخها :

على مرّ التاريخ البشري ، أثرت الأوبئة على الحضارات منذ أول ظهور لها المعروف عام 430 قبل الميلاد خلال الحرب النابليونية (بين حلفاء أثينا وحلفاء إسبرطة وكان للعديد من هذه الأوبئة تداعيات كبيرة على المجتمع البشري بداية من قتل نسب كبيرة من سكان العالم ، وصولاً إلى جعل البشر يفكرون في أسئلة أكبر عن الحياة والوجود ، ومن الواضح أنّ الأوبئة ارتبطت في تاريخها القديم والحديث بالتّقدم العلمي ، غير أنّ ارتباطها بالعلم تزامن مع ارتباطها بالفلسفة ، فقد كان الفلاسفة من السباقين إلى طرح اشكالية الأوبئة قديمًا في التراث الفلسفي القديم والحديث في التّصورات الفلسفية في عصر الحداثة أو فيما بعد الحداثة « فقد شكلت جائحة كورونا الهاجس الأساسي عند الفلاسفة والمفكرين ، ومع تعذّر إيجاد اللقاح المعالج لهذا الوباء ، ممّا استدعى التحوّل إلى الفلسفة على اعتبار أنّ الفلسفة تبدأ حيث يعجز العلم » [1].

وفي بلاد المناطق العربية تاريخ طويل مع الأوبئة الفتّاكة حيث لا تكاد تخلو أيّ منطقة منها « على مر القرون ، ومنذ ما قبل الميلاد تكشف الدراسات التاريخية الآثار التي توثقها بعض الحفريات ، وجود أوبئة كبرى ضربت المنطقة العربية من أقصى الشرق إلى أدنى الغرب » [2]. وهذه المعطيات احتفظت بها الذاكرة التاريخية ليومنا هذا .

وكثرت الأوبئة في بلاد المسلمين وخاصة مرض الطاعون والذي انتشر غير مرة في مصر والشّام في العصر المملوك وقتل ألوفا من سكانها « وكانت الحروب التي دارت

[1] - شعوفي قويدر : الفلسفة والأوبئة ، كوفيد 19 نموذجا ، مجلة الساورة للدراسة الإنسانية والاجتماعية ، المجلد 4 ، جامعة طاهري محمد ، بشار ، الجزائر ، العدد 2 ، 2021 ، ص 476 .

[2] - أوبئة بلاد العرب ... تاريخ أخطر الطواعين منذ عهد عمر بن الخطاب www.aljazeera.net نشر بتاريخ 2020/04/16 ، تم الاطلاع عليه 2023/03/21 ، على الساعة 15.00 سا .

بين المسلمين والمغول من عوامل انتشار هذا المرض فقد ترك المغول مئات الآلاف من القتلى في بغداد سنة 656 هـ ووقع الوباء فهي تخلّف بعد الوقعة ومن بين شمّ وروائح الجثث ، وشرب الماء الممزوج بالجيّف وكثرة الأوساخ ثم سرى الوباء في الهواء فعمّ الطاعون » [1].

وقدم المؤرخون في صفحات كثيرة صور مرعبة لهذا المرض وعمومه لسائر الأرض شرقًا وغربًا شمالاً وجنوبًا واستمر يدور على البلدان 15 عاما وحصد في دورته أرواحًا كثيرةً وأهلك الحرث والنسل وخرّب المدن والقرى .

وكان لهذا الحدث صداه في الفنون النثرية تحديدًا في فن الرحلات والرسائل ، فقد وصف ابن بطوطة في رحلته بعض مشاهداته لمجريات هذه المصيبة التي نزلت ببلاد المسلمين في مصر والشّام في تلك السنة « وأشار بنحمادة في بعض مقالاته إلى المصنفات والمخطوطات التي كتبها المغاربة حول الطاعون الأسود وآثاره الاجتماعية والاقتصادية والنّفسية ، ومنها " مقامة في الوباء " لعمر المالقي الأندلسي و " ماهية الأمراض الوبائية " لعلي بن عبد الله بن محمد بن هيدور النادلي الفاسي (بنحمادة 202) وهي في حاجة إلى المراجعة والتحقيق من أجل الاستفادة ممّا حوته من معطيات معرفية حول هذا الوضع الوبائي الذي شهده الغرب الإسلامي خلال منتصف القرن الثامن الهجري » [2].

ظهرت الأوبئة إذن في فجر الخلائق غير أنّ هناك أوبئة ليس لها تاريخ سوى عدد القتلى ، ومع ذلك نجدها متواترة في عدّة كتب سماوية ، وفي عدّة مُدَوَنَات تاريخية وأدبية ، وهناك اختلاف كبير في تحديد أسبابها علميا ودينيا ، فقد كان الطاعون مثلا وفق ما ذهبت إليه الدراسات التاريخية أحد أسباب سقوط الدولة الأموية وذلك عندما قرر العباسيون إعلان ثورتهم بين طاعونين كبيرين ضربا الشّام والعراق في منتصف القرن الثامن ميلادي ، وقد ظهرت قبل ذلك عدّة طواعين خلّفت معدل كبير من القتلى ليس

[1] - رائد عبد الرحيم : رسالة النبأ عن الوباء ، لزين الدين ابن الوردي ، مجلة جامعة النجاح للأبحاث العلوم الإنسانية ، مجلد 24(5) ، 2010 ، ص 1498 .

[2] - حميد المساوي : خطاب الوباء في الأدب والإعلام ، مجلة الأنساق ، المجلد 5 ، العدد 2 ، 2021 ، دار نشر جامعة قطر، ص 56 .

هذا فحسب بل أدت إلى تفكك كثير من العناصر التي كانت متكأ للنّاس بما في ذلك انهيار الجانب الأخلاقي ليظهر الإنسان على حقيقته البدائية ، لكن هناك اختلاف كبير في فهم أسباب هذه الأوبئة واقعيا وعقائديًا « لقد ورد في العهد القديم كأحد النّصوص التي قرأت هذه الأوبئة بطريقتها وتحديدًا في نبوءات إدميا وأشيعا أنّه عقاب رباني للبشر الذيم خالفوا كلام الخالق ووصاياه » [1]. وذلك ما يمكن استنتاجه من الكتاب المقدس للديانة المسيحية حيث ذكر أنّه إن لم يتم سماع الرب وسيكون العبد ملعونا حيث ما ذهب ، في حين اختلف المسلمون في تسويغ أسباب العلّة التي ضربت عدّة أقطار عربية قديمًا وحديثًا فهناك من رأى أن الميت بالطاعون شهيد ، وأن الصابر عليه إنسان يشبه المرابط في سبيل الله « كما ورد في النسق الأخير بخصوص قراءة الأمراض والزلازل والفيضانات والأعاصير ، بحيث يتعذر القبض على الرأي إلاّ بالعودة إلى المرجعيات الدّينية أو الخرافية أو الانثروبولوجيا أو العلمية في أغلب الأحيان ، وخاصة في بعض الطرح الغربي مع ذلك هناك من يربط الأوبئة بانتقام الرّب « الطوفان في التوراة ، وفي المصحف الشريف وبخاصة من كان مؤمنًا بالكتاب... » [2]. فقد تمّ إلغاء مناسك الحج بسبب موت العديد من الحجاج سنة 1814 وامتدت الفترة إلى 1892 ويعود هذا إلى انتشار الطاعون ، وبعدها وباء الكوليرا انطلاقا من الهند ممتدًا إلى عدّة مناطق في العالم .

2- أشهر الأوبئة التي مرت عبر التاريخ :

من أول وباء ظهر في البشرية إلى كوفيد 19 ، رحلة طويلة مليئة بأحداث مأساوية حوت أوبئة غيّرت مجرى التاريخ البشري وغيرت من نظرة النّاس إلى الحياة وطريقة عيشهم وسنعرض أهم الأوبئة والجوائح التي عكرت صفو البشرية .

2-1- وباء أثينا 430 قبل الميلاد :

أول وباء وثّقه التأريخ ، وباء فتّاك ضرب مدينة " أثينا " وهي في أوج مجدها تحت قيادة " بينغفلاس " وتسبب في هزيمة أثينا أمام " إسبرطة " في الحرب المعروفة باسم

[1] - سعيد بوطاجين : الأدب والأوبئة ، مرايا عاكسة 2016 www.culture.gov.dz تم الاطلاع عليه 2023/03/24 على الساعة 12.21 سا .

[2] - سعيد بوطاجين : الأدب والأوبئة ، مرايا عاكسة ، المرجع نفسه .

" البيلوبونيسية " وتسبب في مقتل قائد أثينا البارز " بويلكيس " وقد وصفت بعض المصادر الأعراض بأنّها حمى ، ضمأ لا يروى ، وبقع على الجسم أطلق عليها اسم الطاعون ، لكن في الحقيقة لم يتم التوصل إلى طبيعة الفيروس آنذاك ، وبعد البحث والتخمين رجع العلماء اليونانيون عام 2006 أن يكون التيفوئيد هو وباء الذي أصاب أثينا القديمة ، ويقول المؤرخ اليوناني " ثوسيديديس " في ترجمة ريشارد كراولي من كتاب " تاريخ الحرب البيلوبونيسية " « الأشخاص الذين يتمتعون بصحة جيدة فجأة تعرضوا لهجوم من ارتفاع درجات الحرارة في الرأس ، واحمرار والتهاب في العينين ، وتحولت الأجزاء الداخلية ، مثل الحلق أو اللسان إلى زوائد دموية ينبعث منه رائحة كريهة غير طبيعية » [1]. حسب المؤرخ ظهر الداء في أثيوبيا ثم انتقل إلى مصر قبل الوصول إلى أوروبا وإلى اليونان التي أصبحت مَرْتَعًا للمرض لذا أصيب جزء كبير من سكان المعمورة بهذا الداء في تلك الحقبة ، تقول الكاتبة " آن ماري مولان " وهي مؤلفة كتاب " طبيب الأمير « إنّه نموذج فعلي لأنّه يصف الطريقة التي تفشت بها الجائحة في المدينة وأفقدتها السيطرة على الوضع سقطت المدينة في فوضى وتفكك أخلاقي وديني ، ولم يعد النّاس يؤمنون بأي شيء على العكس يسعون إلى إيجاد آلهة تخلصهم » [2]. وهنا بدأت تتكون فكرة عن الوباء الذي يهدد حياة الجنس البشري لأول مرة فقد طُرِحَتْ اشكالية الوباء الذي فتك بربع سكان اليونان ، وقد دوّن المؤرخ الاغريقي " ثوسيديديس " الذي تمكن من النجاة بعد معاناة شديدة مع مرض الطاعون أحوال أثينا خلال فترة المرض ودون مجريات الحرب البيلوبونيسية التي استمرت بين عامي 431 و 404 قبل الميلاد .

2-2- طاعون عمواس 640 م :

أول طاعون وقع في ولاية بلاد الشام الإسلامية التابعة لخلافة عمر بن الخطاب سنة 18 هـ (640م) بعد فتح بيت المقدس وسميت هذه السنة بعام الرمادة لما حدث بها

[1] - عبد الرحمان حبيب : تاريخ الأوبئة في العالم https://m.youn7.com اليوم السابع 2022 ، تم الاطلاع عليه 2023/03/25 على الساعة 12.40 سا .

[2] - رابح خالدي : أوبئة ضربت البشرية 1/5 : طاعون أثينا أول وباء وثقه التاريخ 2020 Phics.france24.com الاطلاع عليه 2023/03/25 ، على الساعة 13.47 سا .

من المجاعة في المدينة المنورة ، وظهر في البداية في بلدة اسمها " عمواس " بالقرب من القدس ومنها انتشر في منطقة الشام ، وقد أهلك قرابة 30 ألف من أهل الشام ، وكان عمر بن الخطاب يهم بدخول الشام وقتها ، فنصحه عبد الرحمان بن عوف بالحديث النبوي « سمعتم بهذا الوباء ببلدة ، فلا تقدموا عليه وإذا وقع وأنتم فيه فلا تخرجوا فرارًا منه » [1].

وانتشر بعدها بصورة مريعة عقب المعارك التي حدثت في بلاد الشام وحصدت العديد من الصحابة الكرام ومن أشهرهم عبد الله بن الجرّاح ، معاذ بن جبل ، يقول الطبري «لم أر مثله طمع له العدّو في المسلمين كثر موته ، وطال مكثه ، مكث أشهرًا حتى تكلم في ذلك النّاس » [2].

لم يتخذ النّاس آنذاك إجراءات حازمة ضد انتشار المرض الذي أصاب حتى الحيوانات ، وقد اختلف الفقهاء المسلمون في كيفية التعامل مع الوباء وكان خلافهم في جواز الدخول وليس الخروج من أرض الوباء ، فالخروج متعلق بمقاصده للتداوي أو الابتعاد عن الوباء أو العمل ، وهو مباح لذا رجع سيدنا عمر إلى المدينة ولم يخطئه أحد ، ويعتبر هذا الطاعون أول طاعون في الإسلام ، فما كان من الشعراء إلاّ أن يرثوا ومن بينهم الشاعر خشيش الكندي الذي قال :

رُبَّ خِرقٍ مِثلِ الهِلالِ وَبَيضا * لَعوبٍ بالجِزعِ مِن عَمـــــواسِ**
قَد لَقوا اللَه غَيرَ باغٍ عَلَيهِـم * فأُحِلّوا بِغَيرِ دارِ أَســــــــاس**
وَصَبَرنا حَقـــا كَمـــا وَعَدَ * اللَهُ وَكُنّا في الصَبرِ قَومَ تآسى**[3].

وتظهر هذه الأبيات القيم الإنسانية التي أمرنا الله بالتحلّي بها من خلال لفظ الصبر ، وأيضًا الشاعر أبو ذؤيب الهذلي الذي فقد خمسة من أبنائه وكان ضمن رثائه البيت المشهور :

وَالنَفسُ راغِبَةٌ إِذا رَغَّبتَها * فَإِذا تُرَدُّ إِلى قَليلٍ تَقنَعُ**

---

[1] - أسامة بن زيد ، صحيح البخاري ، ص 5720 .
[2] - أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب : المنتقى شرح الموطأ ، مطبعة السعادة ، ط1 ، مصر ، 1332 ، ص 19 .
[3] - خيرة بوخاري : تيمة الوباء في المنجز الشعري العربي مقاربة بين القديم والحديث ، مجلة الشروق الهندي ، العدد 1 ، المجلد 3 ، 2020 ، جامعة آسام ، سيلتشار ، الهند ، ص 77 .

لقد كان من أخطر الأوبئة فتكًا وأشَدُها في تلك الفترة وكانت هناك صعوبة كبيرة في كيفية تغسيل ودفن الموتى ومن أشهر من مات بهذا الطاعون كان النحوي الشهير ابو الأسود الدؤلي الذي مات بعد سنة 67 هـــ .

2-3- الطاعون الأسود : الموت الأسود 1331ه – 1447 م :

مرض خطير انتشر في معظم أرجاء العالم حصد ملايين الأرواح وفي بعض الحالات أباد مُدُنًا وبلدان بأكملها وحسب بعض المصادر رست سفينة في صقلّية سنة 1347م وهناك من يقول أنّها مجموعة سُفن ، كان أغلب بحارتها متوفون ، أمّا الأحياء فكانت حالتهم رهيبة تملأُ أجسادهم دمامل سوداء تنزف دمًا وقيحًا ، بفزع أُمِرَتْ سُلُطات صقلّية السفينة بالإبحار بعيدًا ، لكن الأوان قد فات ، فالجرذان المحملة في السفينة والتي كانت تحوي الوباء دخلت المدينة ، وخلال السنوات الخمس المقبلة حصد المرض خمسين مليون إنسان في أوروبا أيّ ما يعادل ثلث سكان القارة وعلى مستوى العالم هناك من يقول بأنّه قتل مئتي مليون إنسان من أصل خمس مئة مليون كانوا يعيشون في كوكبنا « الموت الأسود ضرب العالمين الإسلامي والمسيحي ما يزيد على ثلاثة قرون وانحسر في أوروبا في القرن السابع عشر لكنّه مكث في شمال إفريقيا والشرق الأدنى حتى وقت متقدم من القرن السابع عشر ، وقد شهدت كل المناطق في هذه الفترة أهوال الطاعون مرة كل عقد من الزمان تقريبا ... انتقل الوباء مع التجارة والقوافل والجيوش والحجاج والبعثات الديبلوماسية وعلى متن السفن المحمّلة بالبضائع والمسافرين من موانئ المناطق التي ضربها الطاعون ، فتفشى في صقلّية ومرسيليا وبيزا جنوا والاسكندرية » [1]. بدأت قصة المرض في بداية القرن الرابع عشر وانتشرت الأخبار أن مرض فتّاكًا ينتشر في الصين والهند ومصر وسوريا ، يصيب مرض الطاعون الجميع وسرعان ما يموت خلال أيام قليلة على الأغلب وأحيانًا كان المصاب ينام سليمًا ويستيقظ ميتًا ، احتار أطباء ذلك الزمان بما يفعلونه فلا علاج للطاعون وفوق ذلك ينتشر بسرعة رهيبة بمجرد أن يمشي شخص

[1] - جوزيف بيرن : الموت الأسود ، ترجمة عمر سعيد الأيوبي ، ط1 ، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة ، مشروع " كلمة " ، أبو ظبي ، 2013 ، ص 14 .

سليم بجانب شخص مصاب تنتقل له العدوى حتى الحجر الصحي للمرض لم يجدي نفعًا لأن بعض من أصيب به لم تظهر أعراضه عليه إلاّ بعد أيام ، حاول البعض الهروب من الأماكن الموبوءة لكن دون أيّ جدوى لأنّ المرض ينتشر بسرعة وحتى الحيوانات لم تسلم من شرّه .

وقد أُلِّفَتْ الكثير من الردسات التي وقفت في مواجهة الأوبئة وخصوصًا هذا الطاعون ومن أقدمها : ديكاميرون الإيطالي جيوفاني بوكا تشيو 1313 – 1385 وهي مجموعة يوميات قصصية نبعت من معين أدبي صافٍ ، تروي أحداث هروب مجموعة من الشبّان من الطاعون الأسود الذي اجتاح بلادهم وممّا ورد في هذا النّص « كلّما فكرت يا سيداتي اللطيفات في أنكن جميعًا رفيقات القلوب بطبعكن ، أدركت أنّ بداية هذا العمل ستبدو لكنّ محزنة ومروعة ، مثلما هو محزن ومروع تذكر الوباء المهلك الماضي ، ومثلما هو مؤلم لكل من شهده أو عرف أمرهُ » [1]. بقيت جثث مرضى الطاعون ملقاة في مكانها لعدم وجود من يدفنها أو عدم تجرؤ أحد على لمسها ، استمر شبح الطاعون بالتخييم على أوروبا لسنوات لكن على مستوى العالم استمر لقرون ، تشير بعض الإحصائيات أنّه حصد أرواحًا ما بين أربعين إلى ستين مليون أوروبي أي ثلث سكانها في ذلك الوقت وما يقارب مئة وخمسين إلى مئتي مليون إنسان على مستوى العالم وإحصائيات أخرى تقول أكثر من ذلك ، اعتقد كثير من النّاس أن الموت الأسود كان نوعًا من العقاب الإلاهي وبهذا المنطق كانت الطريقة الوحيدة للتغلب على الطاعون هي كسب غفران الله ، يعتقد بعض النّاس أنّ طريقة القيام بذلك هي تطهير مجتمعاتهم من الزنادقة وغيرهم من مثيري الشغب لذلك تمّ ذبح الآلاف من اليهود في تلك الفترة .

وكثيرة هي الأبيات التي نظمت أيام الطاعون الأسود نذكر منها :

[1] - فهد إبراهيم سعد البكر : السرديات الوبائية في زمن جائحة كورونا كوفيد 19 ، قراءة أجناسية أولى لبعض النماذج المواكبة ، مجلة العلوم الشرعية واللغة العربية ، عدد خاص ، المجلد 7 ، العدد 2 ، 2022 ، ص 280 .

قال ابن الوردي (749 هـ – 1349م)

يقولون شم الخل في زمن الوبـــــاء * وفاقا لما قال الأطباء يا خلـــــــي**

فإن قلت للطاعون تسطو على الورى * يقول نعم ... أسطو وآنفك في الخل** [1].

اللهُ أكبرُ مِنْ وباءٍ قدْ سبا * ويصولُ في العقلاءِ كالمجنونِ**

سنَّتْ أسنتُهُ لكلِّ مدينـــةٍ * فعجبتُ للمكروهِ في المسنـــونِ**

قالوا فسادُ الهواءِ يُردي * فقلتُ يردي هوى الفســـــــادِ**

كم سيئاتٍ وكم خطايـــا * نادى عليكم بها المنـــــــادي**

فهذا يوصِّي بـــــأولادِهِ * وهذا يودِّعُ جيرانَـــــــــــهُ**

وهذا يهيِّئُ أشغالَـــــــهُ * وهذا يُجهِّزُ أكفانَـــــــــــهُ**

وهذا يصالحُ أعـــــداءَهُ * وهذا يلاطف إخوانَـــــــــهُ**

وهذا يوسِّعُ إنفاقَـــــــهُ * وهذا يخالِلُ مَنْ خانَـــــــــهُ**

وهذا يحبِّسُ أملاكَـــــهُ * وهذا يحرِّرُ غِلْمانَـــــــــهُ**

وهذا يُغيِّرُ أخلاقَـــــهُ * وهذا يعيِّر ميزانَـــــــــهُ**

ألا إنَّ هذا الوبا قَدْ سَبـــا * وقَدْ كانَ يرسلُ طوفانَـــــهُ**

فلا عاصمَ اليومَ من أمره * سوى رحمةِ اللهِ سبحانَـــــهُ** [2].

وقال قبل أن يموت بيومين :

ولستُ أخافُ طاعوناً كغيــري * فما هوَ غيرُ إحدى الحسنييــنِ**

فإنْ متُّ استرحتُ من الأعادي * وإنْ عشتُ اشتفتْ أذني وعيني** [3].

2-4- الكوليرا (1817 م – 1823 م) :

ظهر في " جيسور " بالهند وانتشر في معظم أنحاء المنطقة ثم إلى المناطق المجاورة وأودى بحياة الملايين ، وعُرّف أيضا باسم الكوليرا الآسيوي الأولى أو الكوليرا

[1] - محمد بن أحمد بن إياس الحنفي المصري : بدائع الزهور في وقائع الدهور ، دار مطابع الشعب ، القاهرة ، مصر ، 1960 ، ص 164 .

[2] - ابن الوردي : ديوان ابن الوردي ، ص 89 – 91 .

[3] - المرجع نفسه ، ص 281 .

الآسيوية الأولى واستمر في الانتشار إلى منطقة الأوسط وشرق إفريقيا وساحل الأبيض المتوسط ، انتشر هذا الوباء في الهند عدّة مرات سابقًا ، والسبب الرئيسي وراء هذا المرض هو اختلاط فضلات الإنسان مع مياه الشرب وينتقل عبر براز المصابين إمّا خلال تناول الطعام والشراب الملوثين بالبكتيريا وتسهم الحشرات مثل الذباب في نقل المرض من مكان إلى مكان ، هناك تاريخ طويل لوباء الكوليرا في العالم ، وشهد العالم سبع مراحل من انتشاره على نحو مائتي عام والذي تسبب في وفاة نحو 150 ألف شخص ، ظهر وباء الكوليرا الأول مرة في مصر عام 1831 م ، نتج عنه ظهوره وفاة الكثيرين من المصريين وبسبب مركز مصر الجغرافي المميز ، حيث تعتبر مصر القنطرة العالمية في ذلك الزمان التي تربط العالم .

« ومع بداية منتصف ثلاثينات القرن الثامن عشر انتشر وباء الكوليرا في مصر ، ووصل عدد ضحاياه إلى أكثر من 150 ألف نسمة واجتمع قناصل الدول الأوروبية في الاسكندرية خوفًا من تسرب الطاعون للدول الأوروبية ، وشكلوا فيما بينهم مجلس للصحة ، وكان هذا المجلس يهيمن على الأمور الصحية ويشرف على إنشاء معازل ، حيث قام بفرض معازل وأماكن حجر صحي في موانئ دمياط ورشيد والعريش لمنع انتشاره إلى دول أخرى » [1]. فكانت هذه المعازل أول نواة لمكاتب الصحة في مصر للسيطرة على الأمراض والأوبئة ومن بينها الكوليرا ، وقد سرد الروائي الألماني الفائز بجائزة نوبل في الأدب عام 1929 م في روايته الموت في بندقية أحداث وكيفية وصول هذا الوباء إلى بعض المناطق في العالم ، يقول « منذ سنوات عديدة والكوليرا الآسيوية تتجه إلى الانتشار ، وقد كانت تنفجر خارج الهند بعنف أكبر فأكبر » لكن رغم الجهود المبذولة ، انتشر الوباء وأهلك الحرث والنسل وخلّف الخراب ، سمعت نازك الملائكة عن هذا الوباء عبر المذياع الذي كان الوسيلة الوحيدة لتقصي الأنباء في ذلك الوقت فكتبت قصيدتها الشهيرة « الكوليرا » التي كانت بوابة الشعر الحديث ، وصورت فيها مشاعرها تجاه المصابين

[1] - محمود محمد علي : جائحة كورونا وطاعون الكوليرا في عهد محمد علي ، ص 7 .

حين داهمهم وباء الكوليرا ، كتبتها في المرة الأولى على الشكل التقليدي ثم طورتها إلى الشكل الحرّ [1].

من قصيدة الكوليرا :

سكَن الليلُ
أصغِ إلى وَقْع صَدَى الأنَّاتْ
فى عُمْق الظلمةِ، تحتَ الصمتِ، على الأمواتْ
صَرخَاتٌ تعلو، تضطربُ
حزنٌ يتدفقُ، يلتهبُ
يتعثَّر فيه صَدى الآهاتْ
فى كل فؤادٍ غليانُ
فى الكوخِ الساكنِ أحزانُ
فى كل مكانٍ روحٌ تصرخُ فى الظُلُماتْ
فى كلِّ مكانٍ يبكى صوتْ
هذا ما قد مَزّقَهُ الموتْ
الموتُ الموتُ الموتْ
يا حُزْنَ النيلِ الصارخِ مما فعلَ الموتْ
طَلَع الفجرُ
أصغِ إلى وَقْع خُطَى الماشينْ
فى صمتِ الفجْر، أصِخْ، انظُرْ
ركبَ الباكين[2].

[1] - فهد إبراهيم سعد البكر : السرديات الوبائية في زمن جائحة كورونا (كوفيد 19) ، قراءة جنسيات أولى لبعض النماذج المواكبة ، مرجع سابق ، ص 281 .

[2] - نازك الملائكة : قصيدة الكوليرا ديوان نازك الملائكة ، دار العودة ، بيروت ، المجلد 2 ، 1997 ، ص 138 – 142 .

2-5- فيروس كورونا المستجد (كوفيد 19) 2019 – 2022 :

آخر وباء ضرب البشرية لحد الآن واشدهم فتكًا أطلقت منظمة الصحة العالمية عليه اسم COVID 19 ظهر هذا الفيروس في ديسمبر 2019 في منطقة ووهان Wohan بالصين ثم انتشر الفيروس في كل أقطار العالم خلال أشهر من التعرف عليه وحسب التقارير وصل عدد المصابين في أنحاء العالم نحو مليوني مصاب ، وبلغ عدد الوفيات نحو مئة ألف نسمة « أصيب آلاف الملايين من البشر بحالة من الرعب ، وقد أجبرتهم السلطات على البقاء في منازلهم ، ومنع التجول إلاّ في الضرورة القصوى ، وترتب على ذلك آثار كارثية على الاقتصاد العالمي ، من توقف للصناعات وانهيار في أسواق المال العالمية ، وانخفاض غير مسبوق في أسعار النفط ، وفقدان الملايين الوظائف في القطاعين العام والخاص ، وبينما كانت الأزمة تتفاقم يوما بعد يوم ، صار الأطباء والممرضون يتعرضون هم أنفسهم للخطر في المستشفيات وذلك نسبة للنقص الشديد في المعدات الطبية والأقنعة الواقية من المرض » [1]. فَأُجبر النّاس على المكوث في بيوتهم وترك أشغالهم فأغلقت المتاجر والمصانع وأصبحت الشوارع مهجورة وأغلقت الحدود ومُنِع السفر والتجول وتمّ إلغاء مناسك الحج وتمّ إيقاف التعليم وأصبح عن بعد ومع مرور كل يوم يزداد توتر وقلق العالم فهو في مواجهة عدوٍ مجهول لا يعرف كيف يواجههُ باختصار أدى ظهوره إلى تغيير جذري في كافة مناحي الحياة فقد شكلت أحد أهم القضايا التي تصدرت المشهد الدولي في تلك الفترة ، فقد أكدت تقارير دولية فشل النظام الدولي في التصدي لهذا الوباء الخطير الذي حصد من البشرية الآلاف وأصاب ما يزيد عن مليونين من سكان العالم من جميع الأجناس والأعمار « النظر إلى الأطوار الناتجة عن فيروس كورونا يمكننا ملاحظة أنها تنحصر في أمرين رئيسيين يتجلّى الضرر الأول في الفتك بحياة الإنسان – خاصة – كبار السن وأصحاب الأمراض المزمنة – والوفيات في حالة تزايد مطرد بحسب مؤشرات عالمية حيثما وجد هذا الوباء وهو الأمر الأكثر إيلامًا ، أمّا

[1] - أمل الوزير : أثر جائحة كورونا على الأنظمة السياسية في منطقة الشرق الأوسط ، مجلة الشروق الهندي ، المجلد 4 ، جامعة اللغة العربية آسم الهند قسم اللغة العربية ، سنة 2020 ، ص 11 .

الضرر الثاني فيظهر في شيوع الحاجة والعوز وتحول فئات من المجتمع إلى فقراء ومساكين ، حيث فقد كثير من النّاس وظائفهم ، ولم يتمكن الكثير ممن ليس لديه وظيفة من الخروج من بيته للبحث عن لقمة العيش جوار الخطر المفروض على المجتمع ، بالإضافة إلى الانهيار الاقتصادي الذي أضر بدول كثيرة » [1].

ومن أكثر الأوبئة انتشارًا تاريخيا أيضا نجد الجُدَري في تاريخ المماليك الإسلامية التي وقع بها طاعون خطير بعد طاعون عمواس وسمّيَ هذا الطاعون بطاعون الجارف بسبب كثرة جرفه للنّاس للموت ، وقد وقع هذا الوباء بالعراق في البصرة بالتحديد وتقريبا لم يبق بها أناس من كثرة الموت حيث وصل عدد ضحاياه في اليوم إلى سبعين ألفا في اليوم « ولما وقع الطاعون الجارف أطاف الناس بالحسين ، فقال : ما أحسب ما صنع بكم ربكم أقلع مذنب وأنفق ممسك » [2]. ونجد أيضا طاعون جيستيان 541 – 542 م هذا الطاعون أُطْلِقَ عليه العديد من الأسماء منها الطاعون الدبلي هذا الطاعون انتشر عن طريق البراغيث التي تعيش على الجرذان وبالطبع لم يكن لدى النّاس علم بهذا لقد كان أسوأ الأوبئة التي مرّت على البشرية عبر التاريخ وقد قضى على حيان ما يقرب من 75 مليون إلى مئتي مليون إنسان وقتل أكثر من ثلث سكانها وفق تحليل علمي مفترض ، كما نجد أيضا أخطر فيروس وهو فيروس إيبولا هو سبب في حمى ترقية معدية جدًا تمّ اكتشافه في جمهورية تنزانيا الاستوائية ينتشر هذا الفيروس من خلال الاتصال مباشرة بالسوائل الجسدية للمصابين مثل الدم أو اللعاب أو البول وكذلك على الأسطح والمواد ، وسوف نتطرق بشكل أوضح إلى هذا الفيروس في الفصل الثاني بشكل معمق .

[1] - عبد الرحمان الأغبري : منهج الإسلام في التعامل مع الأوبئة وسبل الوقاية منها ، كورونا إشكاليات وحلول ، المنتدى العربي التركي للتبادل اللغوي ، الطبعة الأولى ، 2020 ، ص 32 .

[2] - ابن عبد ربه الفريد : تج : عبد المجيد الترحيبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج2 ، ط1 ، 1982 ، ص 143 .

المبحث الثاني : علاقة الأدب بالوباء :

لا يخفى على أحد أن الأدب مرآة عاكسة ، فقد تميز بأنّه متعايش مع الأحداث الجارية التي يمر بها العالم تأثيرًا وتأثرًا ، فدائمًا ما تنتجُ أعمال أدبية بارعة ونصوص فنية ماتعة ، تخفيفا للأوجاع وتلطيفًا للأوضاع فظهر " أدب الوباء " والذي خاض فيه جميع الأدباء من شعراء وروائيين مسجلين تجارب شعرية وأدبية ومسرحية مريرة ليصوروا للمتلقي قسوة المشهد ، وأثر الأوبئة في العالم واصفين حجم المأساة ، مقدمين واجب المواساة فالأدب يعالج القضايا الاجتماعية ويرصد الواقع الحياتي ويحكي تجارب إنسانية مرّ بها الإنسان لكنّه مطالب بالالتزام الذي يعني انصهار الأديب في مجتمعه وانشغاله بقضاياه ، فيجب عليه أن يكون واعيًا بالتغيرات المختلفة لكن ذلك لا يعني أن يكون الأدب صورة فوتوغرافية للواقع وإلاّ فقد يفقد جمالياته التي يحبه النّاس لأجلها وهنا تظهر لمسة الأديب وبها يكون حاملاً لرسالة إنسانية راقية تنوعت موضوعات الأدب لكنّها كذلك لم تخلو ممّا نحب وكثيرًا ما خرجت القصائد والقصص والروايات من رحم المعاناة الإنسانية ، ومن هذا المنطلق ظهر أدب الوباء، فإذا قرأنا أدب القرن التاسع عشر والعشرين والواحد والعشرين نلاحظ تداول هذا المصطلح «وهذا راجع علميا إلى تفشي عدد من الأوبئة على مرِّ العصور واثرها في السرد العربي ، وكان من الطبيعي أن ينعكس هذا على الأدب في شتى مجالات الحياة الإنسانية ، فالأدب فن يعكس صورة حياة النّاس في المجتمع فلهذا نجد الأمراض تَستَفِزُ إبداع الكاتب ليوظفها في أدبه » [1].

وقد وصف الدكتور الكعبي أدب الأوبئة بأنه «أدب كوني أدب الجماعات الإنسانية الكبرى بمتخيَّلها الجمعي وحتى الشخصي يمكن أن يندرج في إطاره الجمعي ثقافيا مشيرًا إلى أن هذا الأدب تشكل عبر قرون طويلة وخلدته الذاكرة البشرية في بعض الأنواع

[1] - علا شحود : بين الحقيقة والرمز كيف يحصر الوباء في الأدب ، بحث موقع الميدان نت 2020 ، ثقافة وفنون www.almagadeen.net اطلع عليه يوم 2023/02/07 على الساعة 20.04 سا

الأدبية شعرًا ونثرًا واساطيرًا وملاحم ، وفي أصناف أدبية لا حصر لها ، هو أدب عابر للقارات والأجناس والعرقيات يتخطاها ليكون الجميع نموذجًا واحدًا يترقب الموت » [1].

وتابه الكعبي موضحًا بأنّه أدب آخر ، فهو العزل والتأمل في الذّات البشرية ، حيث قال أن الأدب متعدد الاختصاصات ينفتح على التاريخ والفلسفة والأنطولوجيا والفنون وغيرها، فمن أول وباء ظهر وتمّ توثيقه إلى كورونا آخر وباء قد ظهرت عدة مؤلفات عالمية على مدار التاريخ ، فأدب الوباء يمثل انعكاس لكثير من الأزمات الصحية التي يمر بها العالم منذ القديم حيث كانت هي المحرك لأقلام الكثير من الأدباء فمنهم من خسر أهله بسببها ومنهم من تعرض لها ونجا منها وهذه الأعمال لا تزال عالقة في الذاكرة العالمية .

1- مفهوم أدب الوباء :

عرف أدب الوباء هدّة مصطلحات منها : أدب الجائحة ، الأدب الفيروسي ، الأدب الوبائي ، الأدب المروّع ، ادب الرؤيا ، وهو أدب يتناول موضوع الأوبئة والأمراض المعدية ويشمل كافة الفنون الأدبية من شعر ونثر وقد شهد المفهوم اهتمام كبير خلال العام الماضي بسبب جائحة كوفيد 19 « إنّ الأدب الوبائي كان قد ظهر في القرن 16 م على مرِّ قرون ، فهو ليس بواقع بحثية جديدة من حيث الوجود بقدر ما هو حالة من حيث المعرفة » [2]. تزامن ظهوره تحديدًا مع ظهور الأوبئة الغامضة كل عشرينية من كل قرن حسب تاريخ الأوبئة المذكورة سابقًا حيث حددت الحقب الزمنية من 1520 إلى 2020 هذه الفترة تضمنت أسوأ وأخطر أوبئة اجتاحت العالم ومرجحٌ أن أدب الوباء ظهر سنة 1620م ، حيث شهد العالم وباء غامضًا أكثر حدة من الطاعون في ذلك العام «لذا فإن الأبحاث التي أدخلت لظهور الأدب الوبائي في القرن 16م ، إنّما تشير إلى الكتابة التي خلّفها وباء الجدري ، حيث أصاب أوروبا بين القرن 15 م والقرن 18 م ، مع معدلات إصابة بلغت 90 بالمئة ... لذا فإن ظهور هذا الأدب يرتبط أساسًا بالنهايات التي ضربت العالم بسبب الفيروسات عبر البحث عن سبل الوقاية منها بواسطة العقل لذلك افتتحت هذه الرؤى

[1] - ضياء عبد الله الكعبي : في جلسة افتراضية ببحر الثقافة ، أدب الأوبئة بين الخيال والواقع ، بحث على موقع www.alittihad.ae اطلع عليه يوم 2023/02/07 على الساعة 20.28 سا .

[2] - هيبة عامري : الأدب الوبائي تحت مظلة كورونا ، تمثلات جديدة لكتابة فيروسية فائقة ، مرجع سابق ، ص 60 .

الإلاهية باب البروز لمصطلح آخر يعبّر عن الوباء ألا وهو أدب الرؤيا – التوقعات التنبؤات » [1].

فأدب الوباء يعبّر عن حركة الحياة في مختلف الأوقات سواء في الماضي والحاضر والمستقبل وهنا تكمن العلاقة بين الأعمال الأدبية وبين الأوبئة التي شهدتها البشرية « وهذا ما يجعل القارئ للأدب العالمي يلاحظ ظاهرة سُميت بأدب الرعب الذي توحي به روايات ستيفن كينغ مثلا وصولاً إلى روايات تنصر القوى الإنسانية وتعمل على إنشاء عالم مليء بالعدالة والسلام والمحبّة كرواية " العمى " لجوزيه ساراماغوا » [2]. فكان من الطبيعي أن تنعكس الأوبئة على الأدب ، كما على شتى مجالات الحياة الإنسانية ، فالأدب فن يعكس صورة حياة النّاس في المجتمع ، وهذه الطريقة المثالية لشرح عواطف النّاس وضعفهم سواء عن طريق النثر أو الشعر على الرغم من اختلاف تلك الأوبئة في أنواعها وأزمانها فقد وقف الأدب مناصرًا للإنسان ضد هذه الأوبئة ومن مظاهر أدب الوباء نجد ما يعرف بالسرد الوبائي ومن أوائل ظهور هذا السرد كان في أحاديث المصطفى « ومن ذلك جاء في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه ، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وعن أبيها قالت : سألت رسول الله عن الطاعون فأخبرني أنّه عذاب يبعه الله على من يشاء ، وأنّ الله جعله رحمة للمؤمنين ليس من أحد يقع الطاعون ، فيمكث في بلده صابرًا محتسبًا ، يعلم أنّه لا يمسه إلاّ ما كتب الله له مثل أجر شهيد » [3]. وهناك العديد من الكتابات الفنية التي تنضوي تحت أدب الأوبئة أو أدب الوباء تتناول ما فعلته الأوبئة بالبلاد والعباد وكيفية تعامل النّاس معها ، من أشهر هذه الأعمال ما سنذكره :

[1] - هيبة عامري : المرجع نفسه .
[2] - علا شحود : بين الحقيقة والرمز ... كيف يحضر الوباء في الأدب ، مرجع سابق .
[3] - الكتب الستة صحيح البخاري : إشراف صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ، رقم الحديث 3474 ، ص 274 ، رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ، عن عائشة /ج/60 .

2- تفاعل الأدب مع الوباء :

1- الأعمال النثرية :

1-1-رواية الطاعون ألبير كامبو 1947 م :

نجد لكل كارثة أو وباء مأساة كتابها ، ورواية الطاعون Le pest 1947 للأديب الفرنسي ألبير كامو من أشهر الأعمال التي عرفت انتشارًا واسعًا في أدب الأوبئة والجوائح وما جعلني أبدأ بها هو شهرتها خاصة في الفترة الأخيرة التي واكبت جائحة كورونا فحسب التقارير هذه الرواية هي الأكثر مبيعًا في تلك الفترة ، وقد حاز بها على جائزة نوبل للأدب ، كما أنّ هذه الرواية تعد أول نجاح كبير للكاتب من حيث المبيعات 161000 نسخة في السنتين التي تلت النشر وملايين النسخ منذ ذلك التاريخ « الرواية التي عاد الكثيرون إلى قراءتها في أيام كورونا هذه تدور حول ثلاث مستويات ، مستوى واقعي قائم على وصف دقيق لأعراض الطاعون الذي ضرب وهران ، ومعرفة جدية بتاريخ الوباء الذي ينتقل من الجراذين إلى البشر ، مستوى تجريدي فلسفي يطرح أسئلة عميقة عن علاقة الإنسان بالموت والله ، والتوتر بين الفردي والجماعي ، أخيرًا مستوى ثالث سأطلق عليه اسم الغياب من خلال تغيب سكان المدينة الأصليين ، كان موتهم لا يعني شيئًا ، فالذي يعيش في خارج لغة فرنسا الكولونيالية يموت دون أن يكون لموته صدى » [1].

إنّ رواية الطاعون كانت ثرية بالمعطيات النّفسية والاجتماعية فقد سرد كامو قصة واقعية ، وصف فيها طبيعة الشعب الجزائري وعاداته وتقاليده فمن خلال الرواية وضعنا في أجواء الوباء حيث وصف لنا أعراضه وعواقبه ، تدور الأحداث في مدينة وهران بالجزائر حيث تبدأ الرواية بوصف لمشاهد موت الجرذان في الأبنية والشوارع والحدائق ومن ثمّ انتشار مرض الطاعون القاتل ممّا أدى إلى عزل المدينة عن البقية ، أحد الموضوعات المهمة في هذه الرواية هو أن الطاعون يمثل عبثية الحياة وعشوائيتها ، تغطي شخصيات الرواية طبقات اجتماعية مختلفة من بينهم الطبيب الدكتور بيرنارد ريو

[1] - إلياس خوري : الأدب في زمن الوباء ، مرجع سابق ، ص 147 .

الذي سخر كافة مجهوداته لمعرفة أسرار المرض والقضاء عليه وانقاذ المصابين بالوباء لكن لا يستطيع ، فتضعف عزيمته فلم يتمكن المرض من قتله لكن قضى على روحه ومعنوياته ، إن من يقرأ رواية كامو يلحظ أن القالب الذي صيغت فيه الرواية قالب مخيالي، يتقاطع فيه الخيال السردي بواقع الإنساني العبثي «كانت المحاولات في مساعدة أهل السكان من خلال القضاء على الطاعون كلها عبثًا ، وكانت محاولات الطبيب ريو كلها عبثية فهو يدرك أن لا مفرّ من هذا الوباء غير التخفيف عنهم ، ورغم ذلك كان لا ييأس ولا يمل ، بل كان يحاول جاهدًا للقضاء عليه ولو بالقليل يقول كامو إنّ الطاعون يكشف عن اتفاق عميق بين وجهات النّظر الفردية تجاه عبث واحد ليشير إلى أن إدراك العبث هو حقيقة واحدة يدركها الجميع » [1]. لكنّ الطبيب توقع الخلاص النّهائي الذي سيبدد كل المتاعب وهذا ما حدث ، فقد تخلصت المدينة من الوباء وعادت البسمة والاطمئنان لوجوه النّاس لكنّه يدرك أنّ المدينة لا زالت مهددة بعودة الوباء ، لأن الطاعون لا يموت بل قد ينام لآلاف السنين ثم يعود .

2- ليليات رمادة " واسيني الأعرج " :

قد تكون رواية واسيني الأعرج " ليليات رمادة " الصادرة حديثا من جزئين عن دار الآداب الرواية العربية الأولى التي تدور في مناخ وباء كورونا الذي هزّ العالم .

يقول كاتبها كانت مغامرة بلا حساب مسبق حيث قرر في فترة الحجر الصحي وهو عالق في شمال فرنسا أن يتوقف عن مشروع روايته التي خطط لها قبل الجائحة ويبدأ بتأليف رواية تناسب الوضع آنذاك ليس له وحده بل لجميع المتلقين الذين أصبحوا محتجزين في منازلهم ويبحثون عن بديل يعوض الفراغ الذي يسببه الحجر الذي ألزمهم على البقاء بين جدران بيوتهم ، صدرت بجزئين " تراتيل ملائكة كوفيلاند " ، " ورقصة شياطين كوفيلاند" كانت من المفترض أن تصدر بجزء واحد ، لكن نظرًا إلى ضخامتها 900 صفحة قسمت لجزئين «كتبت هذه الرواية في ظرف خاص ، حيث راودتني الفكرة

[1] - عبد القادر توران : الشعور بالاغتراب عند أبي علاء المعرّي وألبير كامو ، أطروحة دكتوراه ، إشراف الطاهر حجار ، جامعة الجزائر ، ص 139 .

وأنا في حالة حجر في بداية الفترة فكرت في إنهاء روايتي التي سبقت ليليات رمادة ، وكانت عن قصة حبّ عاشتها شخصية تاريخية حقيقية تسمّى حيزية ، كنت قد بدأت بالفعل في كتابة الرواية ، وجمعت عنها الكثير من الوثائق ، لكني رغم اتساع الوقت لم أستطع إكمالها ... فكرة « الموت » كانت تهيمن على عقلي وتأسر كل حواسي ، رحت أفكر في شيء آخر بعد أن توقفت كل الممارسات الحياتية المعتادة لا أعرف كيف جاءتني فكرة ليلات رمادة ، لكنّها جاءتني كمن يختار رفيقة الأنس في رحلة مجهولة ، قلت لنفسي «لماذا لا أكتب فكرة عن هذه الأحاسيس المضطربة ؟ وبدأ يتشكل في رأسي الإطار العام للرواية » [1]. هكذا كان وصفه لروايته ومن الملاحظ أنّ كتّاب أدب الوباء يستعملون الكتابة لوصف ما يجول في خواطرهم والتعبير عن أحاسيسهم من ألم ومواساة وفراق وضغوط، فالأوبئة تستدرج الكتّاب حتى يقعون في ميدانها ولا يجدون أنفسهم إلاّ يخوضون فيها دون أن يدركوا ذلك فيتحول مشهد الموت والمعاناة اليومية إلى خلفية للرواية « صدرت رواية ليليات رمادة عن دار الآداب اللبنانية في يناير 2021 م ، آخذة من جائحة كورونا وما خلفته من تدهور للأوضاع على جميع المستويات موضوعًا لها ، تسرد قصة حبّ بين رمادة والمايسترو شادي يعقوب » [2].

تدور أحداث الرواية حول الطبيبة التي سماها والدها رمادة تبركًا بعام الرمادة الذي جاء في عهد عمر بن الخطاب وهذا يعيدنا للوراء قليل لنتذكر عام الأوبئة حيث انتشر الطاعون وحصد آلاف الأرواح والواضح أنّ لهذا الاسم رمزية سلبية فقد دمرها مثلما دمر هذا الوباء البشر مرورًا بزوجها المتوترة علاقتها معه ، تقوم بخيانته في لحظة تقرر فيها أن تكون حرّة ، مع الموسيقار العالمي شادي ، وتعيش حياةً متقاطعة بين حالة الرماد التي كانت يومياتها في بلد يواجه الموت والوباء ، لكنّها في الوقت نفسه حالمة بالحب متشبثة به كأنه ملاذها الأخير ، وتستمر رمادة بالاستماع إلى ليليات شوبان الموسيقية حتى نهاية

[1] - شيرن ماهر ، واسيني الأعرج : ليليات رمادة ، محاولة لتجاوز الواقع ، الدوحة ، وزارة الثقافة ، دولة قطر 7 يوليو 2021 ، www.dohamagazine.qa تاريخ الاطلاع عليه 2023/04/10 على الساعة 15.53 سا

[2] - عزيزة زواش ، تبيل مزوار : دار الشخصية الروائية في التعدد اللغوي رواية ليليات رمادة للروائي الجزائري واسيني الأعرج عينة ، مجلة القارئ للدراسة الأدبية والنقدية واللغوية ، المجلد 5 ، العدد 4 ، نوفمبر 2022 ، ص 198 .

الرواية ، كاتبة رسائل لهذا الحبيب الموجود خارج البلاد في حالة مرضية قاسية ففي اللحظة التي انفتحت الأبواب أمام هذا الحب المعلق انغلقت في اللحظة ذاتها بفعل الوباء .

لم تكن الرواية تتحدث عن المرض والوباء المنتشرين فحسب ، بل رصدت الأوبئة الاجتماعية التي تنتعش أيضا في ظل هذه الأزمات ، فالأوبئة الاجتماعية لا تقل ضراوة عن الجائحة حيث تدنت قيمة الإنسان تحت وطأة الوباء في المجتمعات الفقيرة والمنهكة .

نشرت هذه الرواية أولاً على الفايسبوك في حلقات استمرت قرابة أربعة أشهر كان الكاتب واسيني الأعرج يكتب الفصول وينشرها في نفس الوقت ، وبعدها قام بإصدارها ورقيا حيث استغرق ذلك قرابة ثمانية أشهر .

3- الحبّ في زمن الكوليرا 1985 غابرييل غارسيا ماركيز :

يروي فيها غابرييل ماركيز قصة حبّ معقدة بين رجل وامرأة منذ المراهقة وتستمر بعد السبعين ، رواية تسكنها الحيرة فهي خيال يتجسد أمامنا كحقيقة ولا فارق واضح بين داء الكوليرا وداء الحبّ أثبت لنا ماركيز أنّه يمكن أن يُخلق شيء واقعي حتميًا من خلال شيء لا معقول فقد أبدع في سرده واختياره للمشاهد كما إلى الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في أمريكا الجنوبية « رواية الحبّ في زمن الكوليرا البانورامية والميثيولوجية التي تجسد المأساة الإنسانية النّفسية و الأسرية والصحية التي حافت بولايات ساحل الكاريبي ، فأحدثت تحوّلاً واضحًا في العلاقة الاجتماعية والأسرية والعاطفية ، ومن ذلك أن أعراض الحبّ البائس عند الإنسان أصبحت شبيهة بأعراض الكوليرا ، هذا الإحساس المرّ الذي جسدته قصة فلورينتينواريثا الصياد المنزوي ، وفيرميناداثا ، المحنة المشتركة التي نشأت في أحضان الفتنة والخيانة ، في أرض نتنة غاصة بالشياطين ، طافحة بالموتى » [1].

[1] - حميد المساوي : خطاب الوباء في الآداب والاعلام ، دراسة لسانية اجتماعية ، الإعلام المغربي أنموذجًا ، مجلة الأنساق، المجلد 5 ، العدد 2 ، تصدر عن كلية الآداب والعلوم ، دار نشر جامعة قطر ، 2022 ، ص 58 .

ومع تقدّم الشخصين الأساسيين في السنّ تقوى العلاقة واغدو خيالية إلى أن ترتفع الرواية إلى الخاتمة كتدليل على الأزمة الحادة التي ستظهر بجلاء للتقمص كثير من الأوهام البشرية .

القصة التي تبدأ بعبادة « حسنا سأوافق على الزواج منك أنت ... إن وعدتني أن لا تجبرني على أكل الباذنجان هذه العبارة مكتوبة على قصاصة ورقة منتزعة من هامش دفتر مدرسي وتنتهي مع آخر صفحة من هذه الفقرة « إلى متى تظن أننا نستطيع الاستمرار في هذا الذهاب والإياب الملعون » كان الجواب جاهزًا منذ زمن طويل فقال « مدى الحياة » كانت أعظم الروايات في القرن العشرين حيث وصلت شهرتها إلى العالمية، محور الرواية إلى قلب الفتاة رغم مرور خمسين سنة ، ويوم وفاة زوجها يتقدم من أجل الزواج بها وعلى الرغم من أنهما وصلا إلى مرحلة الشيخوخة إلاّ أنّه لا يزال يحبها ويريد التّقرب منها في البداية تَقْيَلُهُ على أنّه صديق ولكنّها رفضت فكرة ارتباطهما في هذا السنّ خاصة بوجود أبنائها وفي الأخير يدعوها إلى رحلة بحرية في سفينة الحبّ لأول مرّة معه ، وفي الأخير يقوم بإخلاء السفينة من أجل أن يخلو بمحبوبته .

تعتبر الرواية انعكاسًا للحياة والحبّ أثناء الوباء فكلما اقترب الحب من الموت صار أقوى وأشد .

وأيضا رواية « اليوم السادس » للروائية المصرية أندرية شديد وقد تكلمت فيها عن ثنائية الحبّ والوباء والرواية الاستشرافية « الطاعون القرميزي » لجاك لندن نشرت عام 1912 م صوّر فيها وباء الطاعون بنظرة استشرافية طبعت أسلوبه ، ورواية « نهاية العالم » للكاتب ستيفن كينغ 1947 م التي يتحدث فيها عن ظهور أنفلونزا جديدة ستنتشر بقوة وسيكون النّاس عاجزين عن السيطرة عليه ورغم أنّها خيالية إلاّ أنّها تتقاطع في جزء منها مع المحتمل ، وتروي الأمريكية كاثربي آن يورتو قصة وباء الأنفلونزا الذي قتل الأمريكيين أكثر مما فعلت الحرب العالمية الأولى في روايتها « حصان شاحب فارس شاحب » التي صدرت عام 1939 م ويصوّر لنا البرتغالي خوسيه سارماغوا الرعب الغريزي عند تفشّي الوباء الأبيض في روايته « العمى » 1995 م حيث يدفع الخوف من

الوباء إلى التخبط والفوضى فيغيب فيها حسّ المسؤولية لمواجهة الأزمة فيخرج الوباء عن السيطرة ، وتنقلنا رواية « عام الطوفان » 2009 م ، للكاتبة الكندية مارغريت أتوود إلى مجتمع عشش فيه الوباء مما أدى إلى أن تصل البشرية إلى حافة الانقراض ، وكانت رواية «كمامة تونسية » بدر سالم شاهد عصر على أولى المدونات الأدبية التي تناولت واقع وباء كورونا حيث يرصد فيه الأثر النّفسي للوباء طيلة فترة إقامته في تونس ، كما نجد ابن الوردي يتحدى الوباء قبل مماته في رسالة " النبأ عن الوباء " في بيت شعري ، الذي كان يصف فيها أحداث وباء الطاعون الذي وقع في حلب سنة 749 هـ واستمر خمسة عشر عامًا .

2-2- الأعمال الشعرية :

الشعر هو ديوان العرب ومرآة المجتمع لذا من الطبيعي أن نجد صدى الوباء في القصائد وقد يُطرح الوباء إلى الأدب عامة وإلى الشعر خاصة ، فكتب الشعراء عن الوباء منذ القدم ، وقد أصاب الوباء العديد من الكتّاب والأدباء والشعراء ، واصاب عائلاتهم وأقربائهم وأحبائهم عارضين لأسبابه تارة والوقاية منه تارة أخرى ، ومهنئين أحيانًا ومواسين أحيانًا أخرى «بالنظر إلى ديوان علي الدرويش نجده سبع قصائد كاملة للحديث عن الطاعون في فضاءات خطابية مختلفة ، فأحيانًا يعرض لأثر الطاعون على البشر ومرة لأثره على الحيوان ، وفي مناسبة ثالثة يُقدم نصائح يتوجب على المنصوح الأخذ بها للنجاة ، وفي قصيدة أخرى يُهنئ بذهاب الطاعون ومرة معزّيًا ومرّة مصبّرًا » [1].

وكتب الشاعر أحمد بن الحسين الكندي المعروف باسم المتنبي قصيدة بعنوان زائر الليل وصوّر فيها الحمى الصفراء كالعاشقة الخجولة التي تتسلل إلى سريره بعد حلول الظلام لكن أوصل لنا هذه الزائرة غير مرحب بها حيث وصف لنا كيف تصيب الحمى الضحية وتشعرها بالهذيان وتتسبب في إرهاقه «كانت التعبيرات المجازية للمتنبي وقصيدته التي تتلاعب باللغة فريدة في ذلك الوقت لا سيما فكرة تشبيه الحمى التي لم تُحدد

[1] - محمد سالم : أدب الأوبئة في التراث النقدي البلاغي ، دراسة في شعر علي الدرويش ونقولا الأسطنبولي ، المجلة العربية مداد ، المجلد 4 ، العدد 11 ، قسم اللغة العربية ، كلية اللغات جامعة السلطان زين العابدين ، ماليزيا ، 2020 ، ص 76 .

طبيا – بزائر ليلي – كان المتنبي تحت الضغط عندما كتب القصيدة في مصر ، حيث كان قد اختلف مع أفضل صديق له سيف الدولة حاكم حلب في ذلك الوقت بعد مناوشة فكرية في البلاط الملكي » [1]. وسميت الحمى بزائر الليل لأن شدتها وأعراضها تظهر ليلاً يقول في القصيدة:

وزائرتي كأن بها حيـــــــــاء *** فليس تزور إلا في الظلام

بذلت لها المطارف والحشايـــا *** فعافتها وباتت في عظامـــي

يضيق الجلد عن نفسي وعنـــه *** فتوسعه بأنواع السقـــــام

كأن الصبح يطردها فتجـــــري *** مدامعها بأربعة سجـــــام

أراقب وقتها من غير شـــــوق *** مراقبة المشوق المستهـــام

يقول لي الطبيب أكلت شيئـــــا *** وداؤك في شرابك والطعـــام

فإن أمرض فما مرض اصطباري *** وإن أحمم فما حم اعتزامـــي

وإن أسلم فما أبقى ولكـــــــن *** سلمت من الحمام إلى الحمام [2].

قصيدة الطاعون 1967 لفدوى طوقان :

كتبت الشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان قصيدة على صفحات جريدة " الاتحاد " حيث تصف هذا الوباء وطريقة تفشيه في مدينتها تقول في قصيدتها :

يوم فشا الطاعون في مدينتي

خرجت للعراء

مفتوحة الصدر إلى السماء

أهتف من قرارة الأحزان بالرياح

هبّي وسوقي نحونا السّحاب يا رياح

[1] - مصطفى أبو سينة : الوباء في الأدب زالشعر العربي ، نون بوست ، أدب وفن ، 2020 . اطلع عليه بتاريخ 2023/04/27 ، على الساعة 11.55 سا www.noonpost.com .

[2] - المتنبي : قصيدة زائرة الليل ، شرح ديوان المتنبي ، وضعه عبد الرحمان البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، 1986م ، ح4 ، ص 276 – 280 .

وأنزلي الأمطار

تطهّر الهواء في مدينتي

وتغسل البيوت والجبال والأشجار

هبّي وسوقي نحونا السّحاب يا رياح

ولتنزل الأمطار!

ولتنزل الأمطار!

ولتنزل الأمطار! [1].

ومن الملاحظ أنّ قصائد الوباء أصبحت رمزًا على الموت من خلال سبر الأحداث والذكريات المؤلمة المختلطة بمشاعر الفقد والاشتياق .

2-3- السينمـــــــــا :

أ- فيلم عيون الظلام The Eyes of dankness : 2011

رواية تحولت إلى فيلم أحدث ضجة بسبب تطابقه مع ما جرى في الصين بسبب كورونا وتعود الرواية للأمريكي دين كونتر تتحدث عن وباء يظهر في الصين نتيجة تسربه من مخبر لتطوير الأسلحة البيولوجية يقع خارج ووهان وسماه ! Wuhan 400 باختصار يتحدّث الفيلم عن أمٍّ تحاول جاهدة حلّ لغز يتعلق بابنها الذي توفي في رحلة تخييم محاولة الإجابة عن سؤال واحد ، هل مات ابنها حقا أم أنّه لا يزال حيًّا ، ثم تكتشف الأمّ أنّ ابنها لا يزال على قيد الحياة إلاّ أنّه محتجز داخل منشأة عسكرية بعد إصابته بفيروس مميت أطلق عليه الاسم المذكور أعلاه ، هذا ليس كل شيء لقد تمّ تطوير الفيروس في مختبر في ووهان الصينية تشابه لا يصدق بين ما حدث في فترة كورونا والفيروس في القصة عبارة عن سلاح بيولوجي تمّ تحضيره في مختبر بالصين ، قال واسيني الأعرج واصفًا أحداث الفيلم « هذه الأحداث هي جزء من الحرب الايديولوجية

[1] - فدوى طوقان : قصيدة الطاعون ، الديوان مرجع سابق www.diwandit.com/poem تاريخ الاطلاع 2023/04/27 على الساعة 18.54 سا .

ضد العملاق الصيني الذي بدأ اقتصاده يهتز بسبب فيروس كورونا ، والرواية وهي أصل الفيلم فتحت أعيننا على حرب جرثومية محتملة قد تأتي على الأخضر واليابس » [1].

ب- المسرح :

لقد تناول المسرح موضوع الوباء عمومًا والطاعون خصوصًا مثل مسرحية " الطاعون" لألبير كامو التي قدمت على خشبات المسرح مئات المرات ، كما قدم الكاتب والمسرحي وليام شكسبير مجموعة من أفضل أعماله خلال فترة الطاعون الذي تسبب في مقتل أشقائه الأكبر سنّا منه وكذلك ابنه الوحيد «ويرى بعض الباحثين أنّ الأديب الانجليزي كتب المسرحية التراجيدية الشهيرة « مأساة هاملت » تأثرًا بوفاة ابنه » [2].

كما قدم الكاتب المسرحي أوكتاف ميربو مسرحية " الوباء " التي تناولت كيف واجه مجلس البلدة الوباء .

مسرحية أوديب ملكا :

هي مسرحية للكاتب سوفوكليكس ، مسرحية من الأدب الكلاسيكي اليوناني تحكي عن ملك تنبأ له عرافه بأنّ ابنه سوف يقتله ويتزوج والدته فخاف الملك وأرسل ابنه إلى مكان بعيد لكن ابنه يعود مع توالي الأحداث ويقتله فعلاً ويتزوج أرملته التي هي في الحقيقة والدته وأنجب منها ولدين وبنتين وبعد مرور سنوات على حكمه احتل طاعون أصاب الحرث والنسل وامتلأت الأرض بالجثث وانتشر الفساد وسادت الفوضى والدّمار فحاول الملك العثور على سبب هذا الوباء والحد منه واستدعى عرّافًا أعمى فنصحه بأن لا يغوص في الأمر كثيرًا لأنّ هذا الوباء غضب إلاهي بسبب أعمال شنيعة لكن هذا الكلام لم يزده إلاّ إصرارًا على معرفة الحقيقة وتتوالى الأحداث حتى يعرف بحقيقة قتله لوالده وزواجه من أمه وينفى بعيدًا للتكفير عن ذنوبه بعد انتحار زوجته أو أمه « لقد عالجوا الموضوع دون الدخول إلى أعماقه، وركزوا جهودهم على الذنب الذي ارتكبه أوديب ،

[1] - قبل 40 عاما ... فيلم « عيون الظلام » يتحدث عن الكورونا 2020 ، البشائر www.albashayer.comتمّ الاطلاع علية بتاريخ 2023/04/27 على الساعة 01.03 سا .

[2] - جمال عبد الناصر : 10 مسرحيات تناولت انتشار الأوبئة في العالم ... تعرف عليها ، عين المشاهير 2020 ، تارخ الاطلاع عليه 2023/04/27 على الساعة 01.11 سا www.ain.net .

والكشف عن ماهية الصراع في هذه القصة ، التي تباينت أراءهم فيه وتبدّى عندهم بأشكال مختلفة فتارة نراه صراعًا بين سلطان القضاء وحرية الإنسان وتارة أخرى نراه صراع بين الإنسان والقوى الإلهية وتارة أخرى نراه صراع بين الواقع والحقيقة ... لقد بدأت المسرحية من نقطة مثيرة ومهمة في حياة أوديب ومملكة ثيبة أي من استفحال أزمة الهلاك والموت وكارثة الأمراض والعقم التي أصيبت بها مدينة ثيبة مع المحافظة على عناصر الأسطورة الأساسية من حيث الشخصيات والأحداث » [1].

[1] - برهان أبو عسلي : أوديب ملكا تسوفوكليس ، قراءة جديدة ، مجلة جامعة دمشق ، المجلد 3 ، العدد 1+2 ، قسم اللغة العربية ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة دمشق ، 2014 ، ص 49 – 50 .

الفصل الثانى :

الفصل الثاني : تمظهرات الوباء في رواية " إيبولا 76 "

- تمهيد
- التعريف بفيروس إيبولا

المبحث الأول : صورة الوباء في رواية " إيبولا 76 "

1- إيبولا الوباء القاتل

2- الوبائية في الرواية :

2-1- الجانب الاجتماعي

2-2- الجانب النّفسي

2-3- البعد الديني والعقائدي

2-4- الجانب السياسي

2-5- الجانب الطّبي

2-6- الجانب الصّحي

2-7- الجانب الثقافي

المبحث الثاني : التصورات الواقعية والخيالية

1- البعد الواقعي

2- البعد الخيالي

الفصل الثاني : تمظهرات الوباء في رواية " إيبولا 76 "

– التعريف بفيروس إيبولا :

فيروس إيبولا من أكثر الفيروسات الفتاكة للإنسان وقد سُمِّيَ بفيروس إيبولا نسبة لنهر من المنطقة التي تفشى فيها المرض ، ويعتبر محدود المدى مقارنة بأغلب الأوبئة الحديثة في بِدايتهِ ، وكنّه كان مميتًا بشكل لا يصدق ، ظهر الفيروس أولا في قرية صغيرة بغينيا عام 1976 وانتشر إلى عدد ضئيل من البلدان المجاورة في غربي إفريقيا ووصلت حصيلة الوفيات إلى 60٪ من المصابين حسب منظمة الصحة العالمية « قالت منظمة الصحة العالمية السبت إن عدد الوفيات بسبب وباء إيبولا ارتفع إلى 4922 شخصًا بين 10141 حالة إصابة معروفة في ثماني دول حتى 23 أكتوبر ، وتابعت أن عدد الوفيات في دول غرب إفريقيا الثلاث الأكثر تضررًا بالمرض وهي غينيا وليبيريا وسيراليون إلى 4912 من بين 10114 حالة إصابة فيها وذكرت المنظمة أنّ من بين ثماني مناطق حدودية لغينيا وليبيريا مع ساحل العاج فإن منطقتين فقط لم تعلن فيها حالات إصابة مؤكدة أو محتملة بإيبولا حتى الآن » [1].

وتنتقل عدوى الإيبولا إلى الإنسان بملامسة دم الشخص المصاب أو أيّ من إفرازاته أو أعضائهِ وتعتبر خفافيش الفاكهة الإفريقية السبب الرئيسي للفيروس وهناك حيوانات أخرى تنقلهُ .

تفشى وباء إيبولا بعدها في غينيا وانتقل منها إلى عدة دول إفريقية ووصل إلى الولايات المتحدة الأمريكية بواسطة المسافرين ولا يوجد حتى الآن علاج أو لقاح لهُ مرخص به ، كل ما يستطيع الإنسان فعلهُ هو توفير الرعاية الطّبية للمصابين وتقديم أدوية تعزز كفاءة الجهاز المناعي .

[1] - إعلان الصحة العالمية ، ارتفاع وفيات إيبولا إلى 4922 ، العربية Skynews ، 2014 ، www.skynewsarabia.com ، تمّ الاطلاع عليه بتاريخ 2023/04/04 ، على الساعة 14.48 سا .

فما بالك لو انتشر هذا الوباء الفتّاك في أماكن وبلدان هشة وفقيرة وتنقصها مرافق صحية ، من بين هذه الأماكن دول العالم الثالث التي لم تسلم من أيّ وباء بوصفها أكثر الأماكن فقرًا وتخلُفًا .

المبحث الأول : صورة الوباء في رواية " إيبولا 76 " :

تعد رواية إيبولا للطبيب السوداني أمير تاج السر الصادر عن دار الساقي سنة 2012 من أهم الروايات التي تصنّف ضمن أدب الوباء والقارئ المتمعن في الرواية يلاحظ أنّها تذهب به إلى ذلك المكان ، إلى إفريقيا فقد نجح الرّاوي بسرد بسيط في وصف تفاصيل قتل مريع يحدثه هذا الوباء .

« كان إيبولا حوله ، وقريبًا جدًا منهُ ويتحيَّن الوقت المناسب لافتراسه » [1].

استطاع سبر عوالم تلك الجماعات وما عانتهُ من تخلّف وبؤس وانحطاط قبل معاناتها من الوباء .

1- إيبولا الوباء القاتل :

هكذا هو الوباء ، على مرِّ العصور كان سفاحًا لا يرحم أحدًا ، ليس له حدود زمان ولا مكان يأتي متى يشاء ويرحل متى يشاء ، لا نستطيع أن نقول أنّه يرحل إلى الأبد بل هي ربّما غفوة فقط أو استراحة قصيرة أو طويلة لكنّه يعود وينشر الخوف والرّعب ، الخوف من الموت أو فقد العزيز وإيبولا لا مثلهُ مثل أيّ وباء ، فقد نقلنا الرّاوي إلى عالم يسودهُ الشّعور بالفقد والخسران بسبب ما سمّاهُ في روايتهِ بالسّاحر الشرير الذي يوزع الموت في عديد من القرى والمدن بلا أيّ هدف معروف فقط لأنّه لا يمكن السيطرة عليه ، فيتخبط الجميع في المرض والخوف من تطوّرهِ وسرعة انتشارهِ وعدم معرفتهم إن كانوا سيكملون للعام القادم أم لا كان الوباء ينتقل حرًا طليقًا من جسدٍ إلى جسد ومن بلدٍ إلى بلد ، وأمات في هذه الرواية الكثير من النّاس وكاد يقتل بطل الرواية عامل النسيج " لويس توا " غير أنّه نجا لكنّه كان جسر إيبولا للعبور إلى مناطق أخرى ربّما لأنّ الرّاوي يريد أن يخبرنا بأنّ البشرية ستنتصر ، ذلك الوباء الذي لطالما أقبل ضاحكًا على استهتار النّاس

[1] - المدونة : إيبولا 76 ، ص 4 .

وعلى غفلة الكثير وعدم معرفتهم لمصائرهم «ضحك نوا في سرّه وضحك إيبولا الذي عبر سلسًا إلى جسد الزوجة المجهز للغزو الشيء الذي لا يعرفه العاملان أنّ إيبولا الرّهيب كان يقهقهُ في تلك اللحظة لأنّ وجهيهما كانا قريبين من بعضهما » [1].

« اتسعت ابتسامتهُ وابتسامة إيبولا أيضا » [2]. لأنّ في الأخير إيبولا هو الذي يقرر من سيعيش وإلى متى سيعيش فكل شيء كان تحت رحمتهِ وسيطرتهِ «كان كل شيء في المدينة يزحف ليكون ملك إيبولا ، ووحده القاتل الرّهيب ما سيقرر » [3]. قتل الوباء الكيني أنامي أوقيانو وتينا أزاغوري زوجة لويس نوا وعمال عديدون في مصنع جيمس رياك للنسيج والطبيب نصر الدين أكوي الذي كان يواجه الوباء مجردًا من أيّ دفاع لكنّه أدّى واجبه كاملاً في مكافحتهِ «مات الكيني أنامي أوقيانو ، ماتت بائعة الخمر التي اختلست القبلة من نوا ساعة قدومه من كينشاسا ، مات عامل من عمال مصنع رياك » [4].

وكعادة أمير تاج السر وظّف نوعًا من الكوميديا السوداء حين ذكر مع قائمة الموتى حمامة ارتطمت بالنافذة «وماتت ، ارتطمت بزجاج إحدى النوافذ » [5]. الأسلوب المضحك المبكي الذي اعتمدَهُ الكاتب أحيانًا في سرد أحداث الوباء مع أن هذا الوباء وما خلّفه من مأساة لا يحتمل السخرية ، لكنّ هذا هو أسلوب أمير تاج السر .

إيبولا الذي شخصه الكاتب وأعطاه دورًا رئيسيًا في الرواية يفكر ويتحرك ويخطط وينفذ للإيقاع بضحاياهُ الواحد تلو الآخر يكاد يتكلم ويخبر الجميع أنّهم ميتون لا محالة « كانت كلمة الطبيب الأخيرة التي أسعدت إيبولا كثيرًا هي وصفة لموت الضحايا ، بأنّه أقصى موت في الدنيا كلّها » [6].

2- الوبائية في الرواية :

2-1- الجانب الاجتماعي :

---

[1] - المدونة : إيبولا 76 ، ص 22 .
[2] - المدونة : إيبولا 76 ، ص 12 .
[3] - المدونة : إيبولا 76 ، ص 38 .
[4] - المدونة : إيبولا 76 ، الصفحة نفسها .
[5] - المدونة : إيبولا 76 ، ص 40 .
[6] - المدونة : إيبولا 76 ، الصفحة نفسها .

امتزت الرواية " إيبولا 76 " بأنّها جسّدت الواقع المعيشي السائد في زمن انتشار الوباء وسلّطت الأضواء على ظاهرة الظلم والفساد والاستغلال والتبعية وانتشار الجهل والبطالة والانحلال الأخلاقي والتخلّف السائد في المجتمعات الإفريقية قبل تسليطها الضوء على الوباء، كأنّما يحاول ايصال لنا أنّ فحوى رسالتهِ هي أنّ الجهل والرجعية في المجتمعات الإفريقية هو الفيروس الأخطر من فيروس إيبولا .

يسرد لنا أمير تاج السر شخصية " لويس نوا " الذي يكون محور الحدث في هذه الرواية الذي كبر وترعرع في حي هامش من أحياء « أنزارا » ، «طفولته البائسة في عشش الكرتون ، احقر حي سكني في المدينة وأمه التي كانت تلقيه في المزابل حتى يأكل، وأخوته الذين كانوا لصوص بلا حياء ، يسرقون حتى ثياب الغسيل من أي حبل يجدونه » [1]. الذي يعمل في مصنع النسيج ، المتزوج من " تينا " بائعة المياه في الشوارع مع أمها ، كان زواجهما غريبًا نوعًا ما ، ففي يومٍ عادي قرر لويس نوا أن يتزوج أول فتاة يراها مبتسمة وكانت تينا مبتسمة في تلك اللحظة ، هذا الزواج الفاشل فقد كانت حياتهما الزوجية خالية من أي عاطفة ، إذ عاشا حياة مضطربة بين عنف وهجرة عاطفية لأكثر من عامين وخيانة لأكثر من مرتين « لم تتوقف هي عن بيع الماء في الشارع حتى أثناء فترة شهر العسل ، ولم يتوقف هو عن محاولة خيانتها ، بعد فترة وجيزة من الزواج حتى خانها بالفعل ، حين عثر على تلك الفتاة ألين ، خادمة الغرف متطلعة في نزل حقير يغشاه الزوار الفقراء في كينشاسا » [2]. وقد أخبرها بأنّهُ سيخونها لو سنحت لهُ الفرصة مرة أخرى في اعترافٍ لهُ ، وهو يعتقد أنّه على فراش الموت بسبب تعرضه للوباء .

وقد سلط الكاتب الضوء على حالات اغتصاب تعرضت لها الكثير من شخصيات الرواية منها زوجة لويس نوا ، التي كانت ضحية للكثير من الذئاب «كانت عرضة لِستْ عمليات اغتصاب ناجحة ، واثنين غير ناجحة تماماً » [3]. وكانيني ناقلة الفيروس للويس

[1] - المدونة : إيبولا 76 ، ص 19 .
[2] - المدونة : إيبولا 76 ، الصفحة نفسها .
[3] - المدونة : إيبولا 76 ، ص 5 .

نوا من خلال مشاركتها جسمها معهُ ، التي لطالما كانت مستغلة من قبل الكثير منذ صغرها .

« ... كانيني الفتاة التي ولدت في إسطبل خيل في الضواحي ، من أب غير معروف ، وعاشت منتهكة من ساسة الخيل ، ومُلاك الأحصنة ، ومراهقي المزارع المجاورة ، حتى بلغت الثامنة عشر ... »[1].

لقد بنى أمير تاج السر روايته بعناية فائقة ، حيث جعل فيها مفاتيح لفهم العالم الاجتماعي لمنطقة " أنزارا " تتمثل في أنّها إفريقيا المرض ، التخلّف ، غياب التعليم ، العزلة الحرب ، استغلال الأثرياء للبسطاء وضعف الرعاية الصحية كل هذه الأشياء كانت السبب في تفاقم الوباء لتشمل كافة مناحي حياة السكان يقول الرّاوي «نوا من بيئة مشابهة ، نفس الدماغ المعد سلفًا لتقبل الأبسط ، نفس تعرق اليدين بلا حرّ ولا رطوبة ، نفس مستوى هرمونات الجسد ، وتأخر ظهور الشيب في الرأس ، واشياء أخرى ، من صميم ويلات إفريقيا»[2]. فقد رسمت سردية الوباء في الرواية مجتمع متكيف مع الوباء ، كان جزء من روتين صعب يوميًا ، يواجهونه باستمرار ، لكنّهم لا يعتبرونهُ خطرًا كما حدث مع وباء إيبولا، فحمّى المستنقعات لم تكن خطر بالنسبة للويس نوا أو خطر صحيًا ، يقول الرّاوي «كم كان عمره؟ لا أحد يدري بالتحديد ، لكنّه يبدو في الأربعينات ، أو بداية الخمسينات ، تاريخهُ المرضي يبدو ناصعًا حتى الآن ، لا ضغط ولا سكر ، ولا خفة في النظر ، ولا احتقان في الكلى أو البروستاتا ، ولا شيء آخر باستثناء حمى المستنقعات التي تنشط في خلاياه أحيانًا، والتي ليست مرضًا على الإطلاق في تلك المناطق... » [3].

لكن بسبب انتشار الوباء في منطقة تعاني من قلة أو غياب آليات للكشف المبكر للوقاية أو تخفيف حدّة الوباء إن لم تحد منهُ ، لم يقوا مجتمع تلك المنطقة المدعوة بالمدينة على مواجهته ، مدينة بالبيوت ومصنع الألبسة والساحة العامة والأستاد والمستشفى والسوق جميع هذه الأماكن تحيل إلى تجمع النّاس والفقر والموت في منطقة واحدة .

---

[1] - المدونة : إيبولا 76 ، ص 12 .
[2] - المدونة : إيبولا 76 ، ص 8 .
[3] - المدونة : إيبولا 76 ، ص 5 .

وقد انعكس هذا على السكان يقول الرّاوي «ومن داخل المستشفى الذي يرقد فيه لويس نوا وغيرهُ من المصابين الجدد ، خرجت همسات كثيرة ، روعي فيها أن تكون بنكهات مختلفة بعضهم همسا بطريقة كوميدية ، بعضهم تراجيديًا ، وبعضهم كان جادًا إلى أقصى حدّ وهو يهمس » [1].

هناك تمييز بين السكان الأصليين والسكان الأجانب في الرواية فمثلاً منازل السكان الأصليين عبارة عن بيوت عشوائية كما قال الرّاوي « البيوت أيضًا حارة صيفًا وباردة في الشتاء ، ليست في مطر خط الاستواء المستمر ، والبيوت ببنائها العشوائي » [2]. كانت تفتقر إلى أبسط ما ينبغي أن يحتويه منزل يضم عائلة تحتاج متطلبات يومية وظهر ذلك في الرواية عندما طلبوا من لويس نوا أن يتأنق بمناسبة رجل العام «لم يتأنق كفاية كما طلب منهُ ، بسبب عدم وجود متطلبات الأناقة ولا مزاجها في بيته ، هو سرواله البني وقميصه الأخضر المشجر ... » [3].

والسكان الأجانب منازلهم بعيدة عن منازل السكان الأصليين ولا تشبههم في شيء حتى الأجانب لا يختلطون مع سكان المدينة «لن يجوع أجنبي في أنوارا ، مهما طال زمن إيبولا ومن المستبعد جدًا أن يموت بإيبولا نفسه ، الرعب له قانونه ، وفي زمن الكوارث لا يصبح الرعب طبقيا ، تحمله الوجوه الخشنة والمتعبة فقط ، ولكن تحمله أيضًا وجوه أكثر البشر رقيا وتحصنًا » [4].

وحوت المدينة على كل من « الأجانب وهم من الغربيين الأوروبيين الذين ارتبط وجودهم مع عمال المنظمات الإنسانية ، وهم يعيشون في عزلة شبه كاملة عن حركة المدينة، والعرب المسلمون المهاجرون من الشمال ارتبط وجودهم بالعمل في التجارة المحدودة في سوق أنزارا وهم موجودون منذ أزمان بعيدة ، يخالطون السكان من أجل البيع والشراء ، والمواطنون يمثلون الفئة الدنيا لسكان المدينة وعلى الرغم من أنهم سكان

[1] - المدونة : إيبولا 76 ، ص 35 .
[2] - المدونة : إيبولا 76 ، ص 18 .
[3] - المدونة : إيبولا 76 ، ص 14 .
[4] - المدونة : إيبولا 76 ، ص 52 .

المنطقة الأصليون فإنهم يعيشون في قاع المدينة ، أمّا بقية المواطنين فهم من الفقراء المدقعين الذين يمارسون أقذر الأعمال » [1]. كما هو حال بطل الرواية الذي يعمل في مصنع جيمس رياك بأجر زهيد وكان صاحب المصنع يعاملهم بقساوة وبظلم واستبداد همّه الوحيد هو أن يبقى مصنعه يعمل يوميًا دون توقف وإدخال المال لأنّه كان يحب نفسه أكثر من غيره ويعاقب كل عامل إن لم يأت إلى عمله يخصم من أجرته ومع هذا الاستغلال إلاّ أنّ عمال المصنع لا يستطيعون أن يتركوا العمل لأنّ المصنع كان ملجأهم الوحيد من أجل انتقاء قوت يومهم .

2-2- الجانب النّفسي :

إيبولا شبح بدايات القرن الواحد والعشرين ، أمّا سبب فزع البشرية منه فذلك « الخوف من الموت » هذا ما يؤكده ميشال لوجوايو أحد اساتذة الطب النّفسي لمجلة بسيكولوجي الفرنسية ، وأكثر ما يُخيف الإنسان هو الموت ، مرض فيروس إيبولا قاتل ، معادلة لا تحتمل النقاش ، فيتأهب العالم الحرّ لمكافحة الشر المطلق ، تعتمد الأمم جمعيات خاصة تُرصد الأموال وتُحشد جهود عاملي الإغاثة ، وأنّ للصحة النّفسية قيمة جوهرية وأساسية وهي جزء لا يتجزأ من حياة الإنسان المعنوية ، وهي حق أساسي من حقوق الإنسان وهي حاسمة لأهمية التنمية الشخصية والمجتمعية والاجتماعية والاقتصادية ، وأنّ الانتشار السريع والهائل لفيروس إيبولا يؤدي إلى ضغوطات نفسية «يضرب الفيروس الوبائي الجسد بشكل مباشر ، فيضع المصاب به حالتين ، الأولى الألم والعذاب والوجع وضيق التنفس والغثيان الدائم ، والحجر لمدة طويلة ، وربّما في النهاية الشفاء أو الموت ، ولكنّه يصيب أيضا المصاب نفسه وغير المصاب فينتشر الهلع والخوف وهذا كله ينتقل من فرد إلى فرد إلى أن يصبح جماعيًا » [2].

[1] - صورة المأساة في رواية إيبولا 76 ، أمير تاج السر ، المؤتمر الدولي الأول الوباء في الأدب العربي/الالكتروني ، الأدب الوبائي ، 2020 ، ص 53 .

[2] - فيديل سبيتي : سيكولوجية البشر في أزمة انتشار الأوبئة ، السبت 12 مارس 2020 ، الساعة 20.26 سا www.ependenlarabia.com ، تمّ الاطلاع عليه يوم 2023/05/14 ، على الساعة 11.00 سا .

إنّ الأوبئة تحمل آثار رهيبة نفسية واجتماعية على مدى الأجيال عن طريق السرديات الشفهية والأمثال أو العادات أو عن طريق الأدب والفن ، فالأوبئة مثلها مثل الحروب والكوارث الطبيعية تترك وراءها مخلفات نفسية جدُ صعبة منها الجهل والفقر والتّخلف ، ويفتقرون إلى الدفء والأمل في حل المشكل الذي وقعت فيه المنطقة الموبوءة، فالرّاوي يحدثنا عن منطقة " أنزارا "« الحدودية مدينة شبه جامدة » [1]. لأنّها بعيدة عن العالم ومنعزلة عنه وهذا يؤثر سلبًا على من يعيش فيها ، وتؤدي بالفرد إلى العيش في عزلة شديدة لا يريد أن يندمج في مجتمعه لأنّه دخل في دوامة نفسية صعبة « وينشر القلق والهستيريا الجمعية بانفجارات حقيقية ، سندير ظهورنا إليها فور أن تنتهي ويتم السيطرة عليها وسننسى الذعر الناتج عن ترقب موجة الوباء بمجرد أن نتمالك نفسنا وتخبو مخاوفنا » [2]. والإنسان بقدر ما يكون أقل استيعاب لمواجهة التغيير بقدر ما تزيد أعباؤه وتبعته عليه ، وكثرة التفكير بالموضوع ، وضع يؤدي إلى مرض نفسي .

انتشار فيروس إيبولا يحدث خوف وهلع ينتشر بين المصابين فحسب الدّراسات عندما ترتفع نسبة انتشار الأوبئة تصبح حالات الاضطرابات النّفسية ومعدلات الانتحار أكثر من حالات الإصابة لأنّ هذا الوباء أصبح يمثل رُعب وخوف أكثر ممّا يمثل مرض ، حيث يتخبط النّاس في مثل هذه الظروف ما بين الإحساس بالذنب الذي يتجسد في فكرة العقاب الإلهي لتفاقم ذنوب البشر والغضب من حالة العجز الجماعي في مواجهة الوباء والضياع ، إضافة إلى الشعور بالوحدة .

فيروس إيبولا اللّعين الذي انتشر في منطقة الكونغو ، المنطقة التي اختارها أمير تاج من أجل أن يفصل فيها حياة المهمشين وشقائهم والواقع المرير وكوميديا سوداء والحياة التعيسة والبائسة التي يعيشونها أبطال الرواية ، والفيروس كان شبح قاتل وماكر لا تدري من أين يأتيك ومتى ينتهي منك حيث يُدب الهلع والخوف وتزداد حالات الاكتئاب ويشح الغذاء واليأس ، من المستقبل واضطرابات في النوم كل هذه الاضطرابات تجعل

[1] - أمير تاج السر : إيبولا 76 ، مرجع سابق ، ص 30 .
[2] - Reconstruction of man Hysteria : the swine flu panicof

المصاب في حالة هستيرية ، ولا يستطيع أن يتعامل مع الوضع السائد ويصاب بخيبة أمل كبيرة ، كما نجد للفقه الإسلامي فلسفة عبقرية في الوقاية من الأوبئة ومن آليات مواجهة تفشي الوباء في الفقه الإسلامي عزل المريض بمرض معد ، ويأخذ ذلك صورة منع المريض بمرض معد من مخالطة غيره من الأصحاء ، حتى لا ينتشر العدوى إليهم ، والفقه الإسلامي تبنى فكرة التباعد الاجتماعي وترك مسافات بينهم حتى يتم إطفاء تفشي المرض المعدي حيث «تتخذ الشريعة الإسلامية منهجًا وقائيًا شاملاً كأساس لها ، وبما يندرج تحت قاعدة سد الذرائع والتي تقضي بإغلاق جميع السُبل المؤدية إلى المحرمات أو إلى الضرر » [1]. كما نجد بأن فقهاء الشريعة الإسلامية رصدوا أسباب نقل العدوى وكان أهمها الممارسات الجنسية غير المشروعة وهذا ما حدث مع " لويس نوا " الذي كان يبحث عن إشباع رغبته الجنسية وكان مُتنقلا من مكان إلى آخر وهو حامل معه الفيروس دون أن يعلم بذلك حتى تسلل المرض إلى كامل أرجاء المدينة ونشر الرُعب بين النّاس ، فالفقه الإسلامي رأى بأنّ العلاقات الغير الشرعية هي طريق واضح جدًا لنقل أي فيروس وعلينا للحد من نقل مثل هذه الأوبئة شرع لنا ما يعرف بالزواج «فإذا كانت الشريعة الإسلامية تُضيف على مرتكبي الفواحش وأوجبت عليهم العقوبات القاسية الشديدة ن فإنّها شرعت الطريق السليم لإشباع الرغبات الجنسية عن طريق الزواج ومن ثمّ يجب على الدولة وأفراد المجتمع الجد والاجتهاد في تسليط أمر الزواج والإعانة عليه بتقديم الدعم للراغبين فيه » [2].

فيروس إيبولا ترك العديد من الاضطربات النّفسية من مشاعر التوجس والخوف وحتى الذعر من المستقبل الغامض وأيضا فقدان الأحبة والأهل أمر صعب جدًا يصعب على الإنسان تحمله «الخال ماجوك بكى من خلف قناعه الواقي وابتلّ القناع كلّه لا بسبب

[1] - إبراهيم بن موسى الخلصي الشاطبي : الموافقة في اصول الشريعة ، دار الكتب العلمية ، (د.ط) ، سنة 2010 ، ص 30.
[2] - مهندس سليم المجند : جرائم نقل العدوى – دراسة مقارنة المصري والفقه الإسلامي والنظام السعودي - ، مكتبة حسن العصرية للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1 ، 2012 ، ص 180 .

رداءة الصناعة التي أتقنها رياك برغم العجلة ولكن من كثرة الدموع ... حمل الأخت على ظهره ورماها بجانب ابنتها في تلك الحفرة الجماعية » [1].

رواية إيبولا 76 رواية تجسد لنا حالات نفسية واجتماعية صعبة جدًا يصعب علينا أن نجد الحلول الكافية للخروج من هذه الأزمات لهذا ترك أمير تاج السر روايته لأنّه على عكس النهايات المفرطة في الأمل فضّل الكاتب أن يترك النهاية مفتوحة لكل الاحتمالات والتوقعات، فربّما يحدث التغيير ، وربّما لم يحدث على الإطلاق .

2-3- البعد الديني والعقائدي :

الله سبحانه وتعالى يَبتَلي عبادهُ بالسرّاء والضرّاء والشّدة والرّخاء ، فقد يبتليهم بها لرفع درجاتهم وإعلاء ذكرهم ومضاعفة حسناتهم ، وأنّ الأوبئة والمصائب العامة مناسبة للرّجوع إلى النفس وتربيتها ، وإبراز خطاياها سواء بالنسبة للأفراد أو الجماعات ، ويدعى الكثير أن انتشار الأوبئة هو عقاب إلهي لابتعاد النّاس عن التعاليم الدينية والأخلاقية الصحيحة ، ودائما ما يفسر السلفيين وأصحاب العقائد المتجمدة هذه الأمور على أن÷ العقاب الإلهي مستعينين في ذلك بالفكر العقائدي الجبري الذي يُعيد أحوال النّاس إلى إدارة الإله فقط ، أمير تاج السرّ كان بعيدًا كل البُعد في كتاباته الروائية عن توظيفه للدّين لأنّه يعتقد بأنّ كل شعب له معتقداته الدّينية ولا يريد أن يتعمق في الجانب الدّيني ، لكنّنا من خلال دراستنا لروايته " إيبولا 76 " يُتبين لنا بأنّها يوجد فيها نوع من الانحلال الأخلاقي المُنافي لديننا الإسلامي والمتمثل في الخيانة ، حيث نجد " لويس نوا " بطل الرواية قام بخيانة زوجته " تينا أزاقوري " لعدة مرّات « وتينا تعرف بموضوع الخيانة ... كيف تخونني ؟ نعم ... مع إلينا وكانيني التي التقيتها أخيرًا ، ثمّ رافعًا إصبعه في وجهها وكنت سأخونك أيضا مع أي امرأة أخرى ، لولا هذا الساحر الملعون الذي قتلني » [2].

نحن نعلم بأنّ الخيانة الزوجية تعتبر زنا وذلك مُحرّمًا شرعًا وحرّمه مما معلوم من الدّين بالضرورة قال الله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ

[1] - المدونة : إيبولا 76 ، ص 47 .
[2] - أمير تاج السرّ : إيبولا 76 ، ص 38 .

كَفُورٍ » [1]. فالخيانة أعظم إثمًا واشدّ حُرمةً وأكثر تأثيرًا وأعمق من حيث الآثار المجتمعية والأخلاقية والخيانة في غيرهما « كذلك محرّمة كخيانة المواثيق والعهود وغير ذلك » [2]. ونجد أيضا قضية الاغتصاب فهي جريمة قبيحة ومحرمة في كافة الشرائع ، وعند جميع العقلاء واصحاب الفطر السّوية ، وهذا ما تعرضت له زوجة لويس تينا أزاقوري وألكيني « كانت عرضة لستُ عمليات اغتصاب ناجحة واثنين غير ناجحة تمامًا » [3]. الرواية فيها جوانب منافية للأخلاق فيها نوع من الظلم والاستبداد المسلط على الشعوب الضعيفة والدّين الإسلامي يخالف هذا وينهانا عنه وخاصة من ناحية المرأة فهي مُهَمّشة وعُرضةً للعديد من المشاكل وخاصة في البلدان الضعيفة المعرضة للأوبئة لأن الإنسان في هذه الفترة يصبح لا يُبالي لأي شيء ويفر من جميع النّاس ويحب إلاّ نفسه والمرأة هنا ضعيفة الشخصية ولم تجد أيّ مساعدة لحمايتها من القهر والتهميش ونجد أيضا نوع من التمييز العنصري ، هذا تجسد في آخر الرواية عند وصول النجدة لمنطقة الكونغو ، والتي كان لهم أمل في الخروج من المعاناة والمأساة لكنهم أصيبوا بخيبة أمل كبيرة والخيبة أكثر العبارات قساوة لكن النجدة لا تحمل إلاّ الأجانب البيض « الطائرات التي صنعت غُبارها وفوضاها لم تكن للضحايا ... ولا لأي مُؤمل فاشل يعيش في تلك البيئة الموبوءة كانت في الواقع للذين لن يكونوا ضحايا على الاطلاق طائرات إجلاء دولية حطت بوقار في الحدائق الأجنبية داخل أنزارا ، وانتشلت بوقار ، كل الذين يقيمون بعيدًا عن أوطانهم في مهمات إنسانية ... ونشطوا إلى الحي الرّاقي حيث هبطت ستعود بأطباء، وعمال إغاثة ومحاليل تروية تأكدوا لكن دون جدوى » [4]. هنا نجد أمير تاج جسد لنا نوع من التمييز العنصري ، وهذا ليس مطابق لتعاليم ديننا الإسلامي لأنّ الله عز وجل جعل النّاس مختلفين في أعراقهم وأنسابهم ولغاتهم ، لكنه نهانا عن التفرقة والتمييز ، كما ممّا قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبته في حجة الوداع « يا ايها النّاس إنّ

---

[1] - سورة الحج : الآية 38 .

[2] - نظرة الشرع للخيانة الزوجية وضرورة ضبط المصطلحات www.fatwa.tsbamwebnet-24-4 اطلع عليه بتاريخ 2023/05/12 ، على الساعة 4.42 سا .

[3] - المدونة : إيبولا 76 ، ص 5 .

[4] - المدونة : إيبولا 76 ، ص 74 - 75 .

ربكم واحد لا فضل لعربيُ على عَجْمِيُ ولا لعجميّ على عربيٌّ ، ولا أبيضُ على أسود ، ولا أسود على أبيض إلاّ بالتقوى ، النّاس من آدم وآدم من تُراب » [1]. يعني أنّ الإسلام حارب العنصرية والطبقية وسائر أنواع التمييز سواء باللّون أو الجنس أو العرّق ، والتمييز الذي ورد في الرواية دليل على بقاء رواسب الجاهلية ، وأنّه لم يتم التطهير الكامل من أدرانها وأوضارّها ، لأنّ في اعتقاداتهم الجاهلية ظنّوا أنّ الوباء عقاب مسلط عليهم جراء أفعالهم الدُونية ، لأنّ فيروس إيبولا الذي انتشر بين النّاس ترك كل واحد يُصارع المأساة ويفكر إلاّ بنفسه لأنّه يعيش في حالة من الرعب والهلع والخوف وحلّهم الوحيد هو الهروب من الواقع وهمّه الوحيد هو التفكير في كيفية توفير لقمة العيش وهذا يكفيه لأنّه أصبح ضعيف ولا يستطيع أن يكون في صحة جيدة لمقاومة كل ما مرّ به وخاصة مقاومة هذا الفيروس اللّعين.

2-4- الجانب السياسي :

بالعودة للتاريخ ، فقد علقت تجارب الأوبئة في عقول البشر بسبب قساوتها من جهة ما تركته بصماتها في المجتمعات من جهة أخرى ، حيث خاض الإنسان عدّة تجارب وبائية كفيروس إيبولا القاتل كما خاض الحروب ، وأدت هذه التجارب إلى تغيرات جذرية في أنماط الحياة والقيم والأفكار وأثرت أيضًا على الجانب السياسي ، حيث نجد رواية إيبولا 76 التي ألّفها أمير تاج السر الذي يُعَد مُبدع ومؤلف وفي نفس الوقت طبيب وكانت رغبته الأولى عند كتابة هذه الرواية هو وصف للأوضاع السائدة التي يعيشها بلده السوداني باعتباره من السودان وابن السودان ومعظم رواياته يتحدث فيها عنها ، فهو يركز على الجانب المعيشي أكثر وكل كتاباته الروائية بعيدة عن السياسة لكنّه في هذه الرواية اختار مدينة الكونغو كينشاسا وهي عاصمة جمهورية الكونغو ، وهذه المدينة لا يختلف فضاؤها وأمكنتها عمّا وصفناها في مدينة أنزارا « نوا من بيئة مشابها نفس الدماغ المعد سلفًا لتقبل الأبسط » [2]. وهذه واحدة من مخلفات الاستعمار الذي عمل على تقسيم

[1] - أرشيف ملتقى أهل الحديث الكيلاني .
[2] - أمير تاج السرّ : إيبولا 76 ، ص 8 .

منطقة إفريقيا بطريقة تُعينه على خلق الأزمات بين الدول ، لأنّ منطقة الكونغو كانت أيضًا عُرضةً للتهميش من طرف السياسيين وبما أن فيروس إيبولا انتشر فيها وأصبح جسرًا عابرًا للدول الأخرى ، لأنّه كثر عليه الكلام في بلده الأصلي فقرر الهجرة ، حيث جندت الدولة ثعابينها وعقاربها ، وكل ما تملكه لملاحقته ، لكنّه فات الأوان وصلت عينات من دماء ضحاياه إلى دول العالم المتقدمة مثل أمريكا وكندا ، وأنّ السلطة غير منشغلة بما يعانيه سكان الهوامش البعيدة « فلم تكن في بلادها أغنية خفيفة الظل اسمها الديمقراطية تأتي بأناس إلى الحكم وتُكنسهم إذا أخفقوا ... هناك عسكريون يحكمون ، وعسكريون ينقلبون على حكم العسكريين وعسكريون يطمحون للانقلاب على العسكرين المنقلبين ، وهكذا ... » [1]. ومن هنا يمكننا القول بأن الوضع العام للدولة وسلطاتها الحاكمة لا مكان للمواطنين غير أن يتحوّلوا إلى ضحايا المخاطر التي تأتي دون استئذان وإن لم تكن مخاطر الحرب فتكون مخاطر الأوبئة وهذا ما جرى مع الشعب الكونغو ، وأن مصيرهم يجب عليهم أن يقابلوه بغريزة البقاء والتأقلم مع الوضع ، لأن الدولة لا تُبالي بخطورة الوضع ، وأنّهم عاشوا زمن الحرب وزمن الأوبئة في نفس الوقت ، حيث نحتت الدولة تمثالاً ضخمًا ووضعته في الساحة العامة لكي يجسد في ذهن الشعب صورة المأساة « وفي الحفل الذي انتزعت له ساحة كان يستخدمها المتمردون على السلطة المركزية قديمًا للثرثرة ودفن التاريخ الحرب المهلكة والتدرب على الخُطب الحماسية الخاصة بفوائد انفصال الجنوب عن الشمال » [2]. منطقة الكونغو كانت معرضة للاستعمار شهدت حربين أهليتين متأثرة بالإبادة الجماعية ، وعلى الرغم من انتهاء الحرب الأهلية هناك فإنّها خلّفت أكثر من 100 حركة متمردة ، حيث أثر التهجير القسري من جهة والنزوح من جهة أخرى ، وهما ظاهرتان نتجتا عن الإبادة الإثينية في رواندا وبورندي ، في الوضع في

[1] - المدونة : إيبولا 76 ، ص 63 .
[2] - المدونة : إيبولا 76 ، ص 15 .

الكونغو الديمقراطية منذ منتصف القرن الماضي ، تداخلت الإثنيات وصراعها على حيازة الأراضي ، ممّا اثار نزاعات على رغم توقف الحرب رسميًا » [1].

منطقة الكونغو لم تكن متأثرة بالفيروس فقط ، بل تأثرت أيضًا بالحروب التي جعلتها تعيش أوضاع مختلفة تمامًا على الشعوب الأخرى لأنّ الحرب كان بالنسبة لها أشد من الوباء ولم تُعطي له أهمية لأنّ همّها الوحيد أن تعيش بسلام لأنّها من أكثر البلدان المصنّفة فقرًا بسبب النزاعات التي مرّت بها ، إضافة إلى الاضطراب السياسي وتفشي الفساد وتنشيط الجماعات المتمردة إضافة إلى شبكات وثيقة بالسلطة الجيش في القيام بنشاطات تجارية غير مرخصة كبيع الذهب إلى دول الجوار «كأن السلطات الحكومية استلفت تقاسيمه القاسية ، حين تنحت تمثالاً اسمه الشّر وغرسته وسط المدينة أيام التمرد وأزيل بعد المصالحة الوطنية الأخيرة » [2]. فالدولة لم تكن تعلم بأنّ هذا التمثال الذي غرسته في الساحة العامة أمام أعين الشعب سوف تَرْسَخُ في ذهنهم المأساة ، لكن لم يعلم أيّ أحد بأنّ هذه الساحة سوف تتحول إلى موقع فيه الحياة والموت وشبه الموت «في الساحة الكبيرة ساحة إيبولا حيث العمل ما يزال مستمرًا أعلن الطبيب الوثني لوثر ... أنّه لم تعد هناك محاليل للتروية » [3]. المرض كان أسرع ولم تستطع الدول التحكم فيه وأنّ المستشفى لم يعد كافيا ليتكفل بجميع المصابين، لكنّ الدولة لم تُبال بذلك ونجد في رواية إيبولا شخصية جيمس رياك الذي يُعد شخصية متمردة ويُعد أحد المتمردين الذين قيضوا ثمن تخليهم عن التمرد على الحكومة في شمال السودان والذي أطلق عليه لويس نوا بالشرير لأنّه شبهه لتمثال الذي نحتته الحكومة ، حيث قام جيمس بناء مصنع للنسيج ، وهذا المصنع الوحيد في المدينة وكان العديد من المواطنين يعملون به ، وكانوا يعانون من ظلمه لأنّه كان متسلطًا عليهم «قد يمسكه من أُذنيه ويجرهُ بالأرض وقد يُعلقه من خصيتيه

[1] - منى عبد الفتاح : التداعيات الإقليمية لصراع شرق الكونغو الديمقراطية سنة 2020 ، www.ependenlarabia.com تم الاطلاع عليه يوم 2023/05/13 ، على الساعة 07.16 سا .
[2] - أمير تاج السر : إيبولا 76 ، مرجع سابق ، ص 23 .
[3] - المدونة : إيبولا 76 ، ص 69 .

فوق مُرجل يغلي، وقد يحوله إلى مقعد ويجلس على ظهره ، لكنّه لن يفصله عن العمل هذا مؤكد » [1].

جيمس رياك يمثل سياسة الظلم على العُمال لأنّه لا يُراعي شعور العمال ، همّه الوحيد أن يعمل مصنعه دون توقف ، ونجد بأنّ الدولة حذرت من أن لا يعبر أحدًا الحدود وهذا احتمال ضئيل لأنّ الحكومة التدابير التي اتخذتها ضمن الحدود هي فقط من أجل حماية نفسها ومن أجل أن لا يعود التمرد مرة أخرى إلى المنطقة ، وأنّها أمرت بإطلاق النّار على من يحاول العبور حتى ولوكان من الأجانب للسيطرة على الوضع وعدم خلق بلبلة مع البلدان الأخرى «لن يقف إغلاق الحدود عائقًا أمام الرّعب ، ولن تستطيع السلطة مهما امتلكت من بطش أو سلاح أن تمنع جيشًا وشيكًا لفيروس إيبولا القاتل من الموت بسلاح حُراس الحدود عدة الأوامر لو اختار بنفسه الموت » [2]. فيروس إيبولا لا يفرق بين غني ولا فقير فهو مسّ الجميع دون استثناء ، ونجد أبناء القرية يتأملون وصول النجدة من أجل مساعدتهم لكنّ النجدة وصلت ولكنّها لا تحمل إلاّ الأجانب البيض وتترك الآخرين يتخبطون في وسط المعاناة يُصارعون إيبولا الشرير ، وهنا على الدولة والحكومة أن تقدم استغاثتها وتطلب المساعدة من البلدان الأخرى من أجل حماية شعبها وتوفير الأمن والاستقرار لهم والتّكفل بهم والتقليل من معاناتهم ، فالدولة تتفاعل مع شعبها وتتألم لأجلهم تارة وتسخط عليهم تارة أخرى ، وبما أنّ هذا الفيروس اللّعين قد قضى على معظم سكان الكونغو وأصبحت هذه المنطقة تمثل خطرًا كبيرًا على البلدان المجاورة وعلى الدولة أن تساعد المنظمة الصحية الاستجابة السريعة في البلدان المجاورة لتعزيز تقصي الحالات وتتبع الاتصال والعمل مع المجتمعات والتجهيز المسبق للمعدات والامدادات الطبية المهمة بما في ذلك معدات الحماية الشخصية في البلدان المعرّضة لمخاطر عالية من خلال صندوق الطوارئ لحالات الطوارئ «تقدم منظمة الصحة العالمية نصف مليون دولار

[1] - المدونة : إيبولا 76 ، ص 24 .
[2] - المدونة : إيبولا 76 ، ص 73 .

أمريكي لدعم جهود أوغندا في مكافحة إيبولا و300.000 ألف دولار أمريكي آخر من برنامج التأهب الخاص بها » [1].

2-5- الجانب الطّبي :

أصبح وباء إيبولا الذي يتفشى في جمهورية الكونغو الديمقراطية «حالة طوارئ صحية تثير قلَقًا دوليًا » [2]. في تصنيف نادر يقتصر على أخطر أنواع الأوبئة بحسب ما أعلنت منظمة الصحة العالمية وتمّ احتواء الوباء في المناطق النائية ، لكن تمّ رصد حالة لمصاب بالفيروس ، وعند انتشار أيّ مرض نجد العامل الطبي جاهز لمكافحته من أي ناحية ، وتوفير العلاج فضلاً عن الوقاية من الأمراض بالكثير من الطرق الطبية ، وتُعد مهنة الطب من المهن الرائدة في العصور القديمة والوسطى والحديثة ، حيث كان الإنسان يُطبق الطب ، ولكن دون معرفة علمية مُسبقة ، الطب له دور كبير في معرفة العلّل التي تُصيب الإنسان ، وهذه العلل قد تكون عضوية أو نفسية أو حتى سلوكية ، فالطب هنا يعمل على التشخيص والعلاج الفوري ، فمنذ عام 1976 م وقعت أكثر من ثلاثين جائحة لإيبولا والتي تأثرت منها القُرى النائية في وسط إفريقيا (جمهورية الكونغو الديمقراطية) ، وبما أنّ هذا الوباء نشر الرُعب والخوف في العالم وأصبح حديث العام والخاص وحتى الكُتّاب والمبدعين كتبوا فيه ومن بين المبدعين الكِبار نجد أمير تاج السرّ الذي يعمل طبيب ومختص في الأمراض الباطنية ومن خلال مهنته الطبية وما عاشه من أزمات طبية حاول الكاتب أن يمزج بين الكتابة الأدبية وبين الطب لأن خلفيته الحماية الاجتماعية اللازمة لالتماس الرعاية الصحية ، ويفتقرون من وجود آليات لتنظيم ، وهذا يكون في المناطق شبه النائية في كينشاسا ، وفيروس إيبولا سريع الانتشار ، كان لا يرحم لا صغير ولا كبير ، وأصبح الأطباء عاجزين أمامه وأنّ قلّة الآليات زادت الأمر أكثر تعقيدًا ، ولقد فتك الوباء عند هجمته الأولى بأحد الطبيبين العمومين ، فبقى الآخر يصارع من أجل تقليل

[1] - الأمم المتحدة أخبار الأمم المتحدة جمهورية الكونغو الديمقراطية ، نقلت نهاية تفشي مرض إيبولا فيما تواصل أوغندا المجاورة جهود احتوائه 27 أيلول / سبتمبر 2022 www.news.un.orgتم الاطلاع عليه 21 ماي 2023 ، على الساعة 11.30 سا .

[2] - الصحة العالمية تعتبر إيبولا طوارئ صحية قلقًا دوليًا 2019/07/19 www.aljazeera.net.comتمّ الاطلاع عليه 2023/05/14 على الساعة 06.55 سا .

الخسائر في الأرواح البشرية ، ولم يُعد المستشفى مكاناً ملائمًا لاستقبال المصابين لأنّ عدد المصابين أكثر من رقعة المستشفى، فاضطروا إلى الانتقال إلى « الساحة الكبيرة ساحة إيبولا 76 ، أعلن الطبيب الوثني لوثر الذي لم يُصب حتى الآن برغم وجوده في المستشفى أنّه لم تعد هناك محاليل للترويه ، ولا مسكنات للصداع والحمّى ولا شاش ولا قطن لإيقاف نزف الجلد ، ولم يُعد هناك من يمنح دمًا » [1]. هذه الرواية جسدت لنا مأساة عندما لم يجد المرضى من يقف على مشارف موتهم « أن يعمل على محاولة إنقاذ الذين تحت يده ، ولن يسعى إلى حفرة ملوثة حتى لو أنقذ الأرواح الحية التي تصرخ فيها فهو وقت محدود ، لأنّ إيبولا لا يمتلكها ويعيش فيها بكل جنونه ولن يسمح للخارجين منها بالبقاء أحياء حتى صوت جديد يأتي في المستقبل » [2]. الطاقم الطّبي يُعاني من قلّة مراكز العلاج الحديثة وأطقم التمريض في ملابسهم الواقية من المرض حتى الأقنعة التي نُسجت من مصنع جيمس رياك لم تعد كافية للوقاية من الوباء القاتل الذي عَجَزَ العالم أمامه .

وأمير تاج السّر خلفيته الطبية ساعدته على التأليف وهذا ما نجده في رواية إيبولا 76 التي أنتجها جراء انتشار هذا الوباء وأحداث هذه الرواية مستمدة من النّاحية العلمية ، قبل أن يتفشّى فيروس إيبولا اعتاد الكثير من رجال الطّب لعلاج ما يعتريهم من علّل وأمراض مختلفة ، لكن عندما شاهدت المجتمعات المحلّية أنّ افرادها يتوفون من فيروس إيبولا ، وأنّ قوتهم لم تكن كافية لمكافحته فسعوا للحصول على الرّعاية من الأشخاص المرخص لهم من الأطباء والمُمرضين ، ونجد الرواية فيها جانب من الطب ويتمثل ذلك في وصفه لحالات الفيروس المنتشرة أثناء هذه الفترة وخاصة المستشفى الذي وصفه بأنّه المكان الوحيد في تلك المنطقة ، وكان يفتقر لأدنى مقومات عمل المستشفى ، فهو يضم طبيبين عمومين فقط ، وعدد قليل من المُمرضين هذا لأنّ فيروس إيبولا قد قضى عليهم وبقي إلاّ طبيب واحد يكافح هذا القاتل الشرير «لم يعد المستشفى بعنابره المحدودة وأَسِرَّتِهِ التي لم تجابه أوبئة عظيمة من قبل طبيبهُ الوحيد لوثر بعد أن سقط نصر الدين

[1] - المدونة : إيبولا 76 ، ص 69 .
[2] - المدونة : إيبولا 76 ، ص 55 .

أكوي » [1]. فيروس إيبولا حذرت منه وزارة الصحة واعتبرته من أقوى الأوبئة وأشد خطورة لأنّه سريع الانتشار ، لهذا جندت كل الامكانيات من أجل القضاء عليه لكنّه هو كان أقوى من ايّ شيء ، وأمير تاج السرّ في روايته أعطى للعامل الطبي دور فعّال جدًا ، حيث يعمل أكثر من نصف العمال بالقطاع الغير النظامي في كثير من البلدان .

2-6- الجانب الصّحي :

لقد شاركت منظمة الصحة العالمية في مكافحة أنماط الإيبولا التي كانت أوبئتها منتشرة في الماضي من خلال مكافحته عدوى المرض ، وتوفير الرعاية للمرضى الذين يُشتبه في إصابتهم بحمى الإيبولا النزيفية كما حذرت منظمة الصحة ونشرت توصياتها للوقاية من هذا المرض في مذكرة لتجنب الانتشار الوبائي لفيروس الإيبولا بعدم ملامسة دماء المرضى وسوائل جسمهم وتنطوي هذا التوصيات على رعاية جميع المرضى ومعالجتهم، كما توصي بإتباع خطوات الوقاية الأساسية ، كما نجد منظمة الأمم المتحدة حذرت من هذا الوباء واعتبرته فيروس قاتل «وظهر هذا الفيروس لأول مرة عام 1976 في منطقة الكونغو حيث ظهرت بها 4 حالات أنذاك وأنّ الذي جلب المرض كان تاجر وعبر به في أرجاء المدينة » [2].

نجد في رواية أمير تاج السرّ قام باستبدال شخصية من تاجر الحقيقي إلى عامل النسيج " لويس نوا " الذي نقل المرض بسرعة كبيرة جدًا بين النّاس ومنظمة الصحة هناك لم تستطيع التحكم فيه وهذا لا يعرف أنّ الإنسان أصيب بالعدوى إلاّ بعد ظهور أعراض المرض بين اليومين والواحد والعشرين يومًا ، ولويس نوا بطل الرواية كان يشعر بأعراض المرض لكنّه لا يعلم أنّه الفيروس القاتل قد تسلّل إلى جسده «كان نوا يحس بإعياء طفيف ثمّة صداع بالرأس والعينين ، ثمّة رعشة خفيفة ورشح بالأنف ، وألم في

[1] - المدونة : إيبولا 76 ، ص 40 .
[2] - فيروس إيبولا وكيفية انتقاله إلى الإنسان عربي http://arabic.euronwes.com 2016 ، تمّ الاطلاع عليه 2023/05/22 ، على الساعة 13.49 سا .

الركبتين ، ولاحظ وجود بقع حمراء على إحدى يديه ، وتأكد له أنّ كل ذلك من مضاعفات المتعة » [1].

هذا الوباء أعراضه خطيرة جدًا لا تشبه الأوبئة الأخرى لأنّها سريعة الانتشار وينتقل هذا الفيروس اللّعين من خلال اللّعاب أو الدمّ أو العرق ولويس نوا كان شخص يفعل أعمال دنيئة مع فتيات الشوارع من خلال ممارسته للأفعال غير شرعية مثل الخيانة والفيروس هنا كان يضحك عليه لأنّه أتاح له الفرصة من أجل أن يتسلل داخل جسدهم ومن شخص إلى آخر «كان إيبولا حوله ، وقريبًا جدًا منه ويتحين الوقت المناسب لافتراسه » [2].

« ضحك نوا في سرّه وضحك إيبولا الذي عبر سلسًا إلى جسد الزوجة المجهز للغزو » [3]. وانتقال العدوى يتم خلال الاقتراب من الشخص المصاب ، ما يفسّر إصابة العاملين في القطاع الصّحي لأنّه الأكثر عُرضة للمرض رغم ارتدائهم لبدلات خاصة للوقاية من المرض ، انتشار الفيروس سريع جدًا وهو ما يجعله فتّاك ، ويقول الأطباء إنّ المرضى الذين نضعهم في العُزلة حتمًا سوف يموتون ، لكن البعض أقوياء يستطيعون الخروج والأكل وحتى الانتقال إلى منازلهم ، وهو ما يؤدي إلى إصابة أقاربهم وجيرانهم وتزيد الإصابة في الشوارع ، ويجب عزل قدر المستطاع من المصابين من أجل حماية الآخرين من الفيروس ، وهذه هي النقطة الأولى لوقف الوباء ، وبعدها سيكون التحكم فيه سهلاً نوعًا ما .يصل بعد إلى هذا .

« والانتشار السريع لهذا الوباء من 1976 إلى 2012 أدى إلى مقتل 1590ألف شخص ، ونسبة الوفيات تتراوح ما بين 50 إلى 70 % الوضع يزدادُ سوءًا ، والفيروس ينتشر دون توقف ، ألف حالة في الأسبوع »[4]. وأنّ الفِرَقْ الطِّبية عملت على جعل جثث الموتى جراء الوباء أن تُوضع بعيدة عن المقبرة العادية وصنعت لهم مقابر جماعية تُدفن

[1] - المدونة : إيبولا 76 ، ص 22 .
[2] - المدونة : إيبولا 76 ، الصفحة نفسها .
[3] - المدونة : إيبولا 76 ، الصفحة نفسها .
[4] - فيروس إيبولا وكيفية انتقاله إلى الإنسان ، عربي Euronews 2016 ، مرجع سابق .

فيها« وفي الوقت الذي حملت فيه تينا أزاقوري وعيناها ما تزالان مفتوحتين ، ولسانُها يابسًا خارج حلقها، لتدفن في المقبرة الجماعية التي أعدتها السلطات المحلية لدفن ضحايا القاتل ، بجميع أعراقهم وعقائدهم بلا غسيل ولا أكفان ولا إضاعة للوقت » [1].

فيروس إيبولا لم يتوقف عن الانتشار ، حيث أصبحت الإجراءات التي يتم اتخاذها أصبحت غير فعّالة مئة في المئة ، أمام الفيروس الذي صُنِّفَ أنّه الأكثر فتكًا بالبشرية ، حتى أكبر بكثير من الإيدز عفانا الله ، والسبب الرئيسي لانتقال هذا المرض هو ملامسة دم المريض وسوائل جسمه وأنسجته التي تحتوي على الفيروس ، كما يمكن أن ينتقل عند التعامل مع الحيوانات البرية مثل القردة والخفافيش ، والثمار وقوارض النيص .

فيروس إيبولا فيروس لعين وشرير وقاتل كما وصفه أمير تاج السرّ وخلّف العديد من المأساة لدى الشعوب الفقيرة من حرمان وخوف وهلع وسط القارة لقد فتك بنصف المدينة .

2-7- الجانب الثقافي :

يؤكد أمير تاج السر{ في روايته أنّ أيّ شيء في هذا العالم بما فيه من أمراض يمكن أن يكون مصدرًا للإبداع ويتحول إلى مادة إبداعية بتصورات ثقافية تنتصر للحياة فلطالما كان لديهم الأمل في النجاة الذي لا يستطيع البشر التخلّي عنهُ حتى وهو على عتبات الموت وهذا الموقف نجدهُ متجسد في شخصية الفنان العازف " مونتي " ذلك الأعمى الذي تشبث بالموسيقى والحفل الخاص به حتى آخر يوم حيث أقيم حفل كبير لاستقباله ، عازف القيتار الأعمى الكونغولي روادي مونتي وقد شهد الحفل تزاحمًا وبعض السرقات التي كادت تفسد الحفل وكان ستاد المدينة هو مكان الحفل وقد كان لهُ دور بارز في مسار الأحداث ، فلو لم يصادف الحفل دخول إيبولا إلى مدينة أنزارا لكان انتشار إيبولا محدود في دائرة حركة البطل لويس نوا ومن خالطهم في المنزل أو المصنع .

في بادئ الأمر بدا أن سكان المدينة غير مهتمين بمثل هذه الحفلات كأنهم يقولون هذا ما ينقصنا لكن العازف تفاجئ بعدد الحاضرين «كانت إعلانات حفل العازف الأعمى

[1] - المدونة : إيبولا 76 ، ص 47 .

المشتته في الشوارع ، قد تعرضت لاعتداءات شتى إمّا من أطفال اعتادوا اللعب بكل شيء... أو كبار يهوون نزع كل شيء الملصقات من الحائط » [1].

المبحث الثاني : التصورات الواقعية والخيالية :

يقف العالم مشهودًا أمام جبروت الوباء ، جبروت عدو غير مرئي عدوى كان خارج حسابات والتوقعات السياسية والاقتصادية والذين حيال عجزهم أمامه أصبح كل ما في متناولهم هو ترويج سلعة بائرة من اللّغو ولم يُعد النّاس يعيرونها أيّ اهتمام ، وقد يبدو من الصعب بل بالأحرى من غير اللائق الحديث عن فضائل أيّ وباء وخاصة فيروس إيبولا الذي نشر الخوف والهلع في النّاس وهو أنّ الوباء لن يُخَلِّفَ سوى انتشار الموت وما يُشيعه من أحزان والإحساس بالخوف والرُعب وما يُسببه من أزمات نفسية في حين أنّه قليلا ما يتم الانتباه إلى أنّ هذا الجو الجنائزي قد يكون دافعًا للإنسانية لمراجعة أفكارها ومعتقداتها ، وتصوراتها حول ذاتها وحول الكون ، كما أنّ هذا الجو المأتمي الذي شهده العالم جراء الأوبئة التي انتشرت فيه وقد يتحول هذا الحزن إلى طاقة إبداعية وخاصة إلى الكُتَّاب والشعراء والتي منحت لهم الإنسانية أعمالاً فنّية من خلال التفاعل مع هذه الأوبئة ليست تفاعلاً ماديًا أو طبيًا فقط بل تفاعل إبداعي من خلال كتابة الشعر والنثر ، وهذا ما نجده عند الكاتب والطبيب السوداني أمير تاج السرّ الذي أبدع في رواية إيبولا 76 من خلال توظيفه لتصورات الواقعية والخيالية لأنّنا عندما ندرس روايته نجد فيها نوع من الواقع والخيال ونجد فيها استجابة إبداعية للروائي الذي يؤكد حقيقة أنّ كل شيء في هذا العالم بما فيه من مرض يمكن أن يكون مصدرًا للإبداع ويتحول إلى مادة إبداعية وقد يكون هذا الإبداع واقعي وقد يكون خيالي يعني يمكن للمبدع من بذرة واقعية يتسع فيها خياله وهذا ما تجسد في رواية إيبولا 76 .

1- البعد الواقعي :

هو محاولة إحياء فترة تاريخية بأشخاص حقيقيين «وهو ما يحيط بالإنسان والجماعة من حال ومجال وعصر ويؤثر فيهما على سبيل التشكيل الرّاهن ضمن زمن

[1] - المدونة : إيبولا 76 ، ص 22 .

متحرك وهو حال الإنسان والجماعة بما يحملانه من قيم وأفكار وطبائع وخصائص وسيمات ضمن مجالات يحياها كل منهما ويعيشانها من اقتصادية واجتماعية وثقافية وفق المرحلة التاريخية التي تمر بها المجتمعات بسماتها المختلفة وهو ما تطلق عليه العصر والحال والمُحال » [1]. يعني أنّ البعد الواقعي هو الاستلهام الواقعي يعني سرد الحقيقة بكل تفاصيلها وهذا ما فعله أمير تاج السر في رواية إيبولا 76 طبعًا لم يسرد أحداث الرواية كما هي في الواقع لكن فيها جانب واقعي .

رواية إيبولا 76 هي رواية عربية من تأليف أمير تاج السرّ تسرد الواقع المعيشي السائد في تلك الفترة ، فقد أخذ بذرة من الواقع وقام بتوسع فيها واستخدم خياله وأضاف لمسته السحرية الكوميدية وبما أنّ الكاتب أمير تاج السرّ هو طبيب باطني وهذا ما ساعده على كتابة هذه الرواية ، لأنّ خلفيته الطبية ساعدته على كتابة ذلك خاصة وصف الأعراض ، وفكرة الكتابة كانت قديمة وخاصة أنّه في السنوات الأخيرة كان يعمل في جنوب السودان ، وفي ذلك الوقت كانت هناك مرض الملاريا منتشر بكثرة وكانوا جميع الأطباء يبحثون عن علاج للملاريا وهناك بصدفة إلتقى في إحدى العيادات بأحد أبناء الجنوب الذي كان يشتغل هو أيضا في مهنة الطب «وكان هذا الطبيب من الأطباء الذين حاصره هجوم فيروس إيبولا 76 وقص عليه العديد من الأحداث والمأساة التي حدثت هذه السنة المليئة بالحزن والخوف والهلع ، وأنّ معظم طاقم المستشفى ماتوا وهو الوحيد من هذا الفيروس الخطير » [2].

ومن هنا تبادر له فكرة كتابة الرواية حيث ينفتح النّص بشذرة عن الحقيقة والمأساة، وهما طرف الوجود للكثير من الأشياء والنّاس إذًا في زمن المأساة تبدو الأشياء على حقيقتها، يعني أنّ المؤلف أو الكاتب عندما يكتب رواية ويكون فيها جانب مأساوي في بداية الأمر تكون الكتابة واقعية مجسدة من الواقع الذي يعيشه الكاتب حسب طبيعة الوضع

[1] - أنور أبو طه : منظمة التحرير الفلسطينية تقييم التجربة وإعادة البناء ، الخميس 22 فبراير 2007 ، www.alzalouna.net ، تمّ الاطلاع عليه الاثنين 2023/05/22 ، على الساعة 12.14 سا .

[2] - المدونة : إيبولا 76 ، تمزج بين الواقع والخيال ، حوار مع الروائي أمير تاج السرّ ، العربية سكاي نيوز 2014 . www.skynewsarabia.com ، تمّ الاطلاع عليه 2023/05/11 ، على الساعة 11.43 سا .

الحاصل عند الكتابة ، وهذه الرواية نجدها فيها أنّه بفعل كان هناك فيروس إيبولا الذي وقع ظهوره لأول مرة في جمهورية الكنغو كينشاسا الواقعة في القارة الإفريقية «وكان معروفًا باسم حمى إيبولا النزفية هو مرض يصيب الإنسان بسبب عدوى فيروس الإيبولا وتنتشر فيروسات إيبولا بين البشر بالتلامس المباشر للبشرة المُمزقة أو الأغشية المخاطية بسوائل جسم أشخاص مصابين بالمرض أو الاتصال بالأسطح والمواد الملوثة بالسوائل الجسدية من الأشخاص المصابين » [1].

فيروس إيبولا هو مرض معدي وخطير جدًا يؤدي بحياة الفرد وهو سريع الانتشار بين النّاس ، ويؤدي بحياة الفرد في أغلب الأحيان إن لم يُعالج وهذا المرض ينتشر في القرى النائية الواقعة في وسط إفريقيا ، وفيروس إيبولا 76 هو فيروس مخطر جدًا وكما قال صديق الكاتب أنّه لَمّى بجميع النّاس لا فرق بين كبير ولا صغير يعني أصيب فئة كبيرة منه «أمّا بالنسبة لرقم 76 فهو اختصار لسنة 1976 وهي السنة التي ظهر فيها المرض لأول مرة في التاريخ الفنّي » [2]. والصورة هنا تجسد لنا واقع مأساوي عاشه شعب جمهورية الكونغو من جوع وفقر والبيئة الصحية ، وهذا يظهر من خلال ملابس وهيئة صورة الطفل تبدو الندبات التي خلفها مرض خطير ، وعلى تقاسيم وجهه وأسفل عينيه يبدو أثر الجوع والحرمان ، أمّا النظرة الساهمة في وضع كفِ يَدهُ اليُسرى على اليُمنى تحيل إلى الهزيمة ، أمّا بالنسبة للنهر والجبال تمثلان عائقًا للعبور الفيروس أكثر من كونهما رمزية للحماية والخصب والنّماء يعني نفهم من غلاف الصورة أنّ الكاتب حقًا جسدّ الأوضاع الاجتماعية السائدة في تلك الفترة وما خلفه وما سيخلفه هذا الوباء الخطير من دمار وجوع وخوف ورُعب وفي بداية افتتاحه للرواية بقوله «في شهر أغسطس عام 1976 ضرب فيروس إيبولا القاتل مناطق عدة من جمهورية الكونغو كينشاسا ومنطقة أنزارا الحدودية في جنوب السودان » [3].

---

[1] - إيبولا منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة www.fao.o.r.j.com تم الاطلاع عليه 2023/05/11 ، على الساعة 11.49 سا .

[2] - رواية إيبولا تمزج بين الواقع والخيال ، مرجع سابق .

[3] - أمير تاج السرّ : إيبولا 76 ، ط1 ، دار ساقي 2012 ، ص 2 .

هذا النّص يشير إلى واقعية الوباء من جهة وأنّه اتبع نهجًا في خلط الواقعية التاريخية بالواقعية السحرية « وقيل أنّ عامل بسيطًا في مصنع للنسيج هو الذي جلبه» [1].

هذا العامل الذي ذكره في رواية لم يكن محضُ للخيال لأنّ الطبيب الذي سرد له ما حدث معه قال له بأنّ الذي جلب الوباء كان تاجر فأمير تاج السرّ وجد بأن التاجر لم يَعْدُل الرواية أكثر فقام باستبدالها بعامل النسيج " لويس نوا " واختار هذه الشخصية ليفتتح بها الحكي حيث ترعرع من حي هامشي من أحياء أنزارا [2]. وعمل أجيرًا بمصنع النسيج وأنّه كان متزوج من « تينا أزاقوري بائعة الماء مع أمها الذي تزوج منها بعد سبع سنوات من موت صديقته تينا الذي حزّن من أجلها ، وعندما قرر أن يتزوج من أول امرأة يراها يراها تبتسم وكانت تينا من قبيلة أخرى غير قبيلته » [3].

أمّا بالنسبة للأعراض التي ظهرت على لويس نوا « الغارق في الحمى وينزف من أحشائه وجلده واتفق على أنّها ليست ملاريا بالمستشفيات التي يُسببها طفيل البلازمديوم ولا التيفوئيد ولا الحمى الراجعة أو القرمزية أو حمى تيفو الفيروسية [4]. هذا كله راجع إلى الخلفية الطبية التي استند عليها في كتابة الرواية لأنّه كان يعلم بكل الأعراض الناجمة عن وباء يتعرض له الإنسان من خلال تجربته الطبية .

في هذه الرواية أمير تاج السرّ أخذ فكرة الواقع من خلال سرد الأحداث التي سردها له صديقه وقام بتوسع فيها وجسدّ فيها خياله لأنّه بالفعل كان يشتغل في كتابة الأسطورة والخرافة والواقعية السحرية ، وهذا ساعده أيضا في التطوير من الرواية من أجل تجسيد إيبولا القاتل على أرض الواقع بطريقة تراجيديا وكوميديا حيث بأحداث الرواية كما يشاء من خلال إبداعه الفني .

2- البعد الخيالي :

أ- الخيال العلمي والاستشراف :

---

[1] - المدونة : إيبولا 76 ، ص 3 .
[2] - المدونة : إيبولا 76 ، ص 2 .
[3] - المدونة : إيبولا 76 ، ص 6 .
[4] - المدونة : إيبولا 76 ، ص 39 .

تصنف رواية إيبولا 76 ضمن استشراف الخيال العلمي انطلاقا من فيروس حقيقي ألا وهو فيروس إيبولا فكل ما في الرواية من نسيج خيال الكاتب ما عدا الفيروس القاتل ، فقد تكهنت بالمستقبل بالاعتماد على القرائن والأدلة الواقعية وخلفية الراوي الطبية ، ولكي نوضح أكثر فإن أدب الخيال العلمي من نسيج المتخيل ، يعتمد على الخيال العلمي الذي يعرف بأنّه نظريات وافتراضات علمية تعتمد على قواعد علمية « فالخيال العلمي جنس أدبي أو مفهوم ونوع سينمائي تكون فيه القصة الخيالية مبنية على الاكتشافات العلمية التأملية والتغيرات البيئية وارتباط الفضاء والحياة على الكواكب الأخرى ، ويعرف بأنه خيال إبداعي يتعامل مع مكتشفات ومخترعات علمية حديثة بطريقة متخيلة ويوظفها جماليا مع منطق الواقع الافتراضي الذي لا يستبعد ولا يتنافى مع امكانية التجسيد الواقعي والطبيعي » [1].

رواية إيبولا 76 صدرت عام 2012 أي قبل أن يغزو إيبولا المنطقة بحوالي عامين ويتحول اسم إيبولا إلى مرادف للموت ، وكأن أمير تاج السرّ يتنبأ بأحداث سوف تحدث فعلا، وهذه الرواية تلتقي مع الخيال العلمي في كونها عمل إبداعي أدبي يعتمد على الحدس والاستشراف وتقديم صورة متخيّلة عمّا سيحدث مستقبلاً «وليس من هدف أدب الخيال العلمي التنبؤ بالمستقبل بل أنّه يقوم بشيء أهم من ذلك بكثير ، فهو يحاول أن يصور لنا المستقبل الممكن ... ودور الخيال العلمي هو أن يظهر أي نوع من المستقبل قد ينشأ من بعض تصرفات البشر » [2].

وهذا ما حدث في هذه الرواية التي تناولت وباء قد انتشر فعلا بعد صدور الرواية مع أن الفترة التي كتبت فيها الرواية انتشرت فيها الملاريا ، وكان الراوي الذي هو طبيب بالفعل يبحث عن علاج أو لقاح لها ، والتقى بطبيب ممن عاصرو هجوم إيبولا على جنوب السودان سنة 1976 ، وحكى له الأحداث المأساوية ، فكانت هذه الشرارة التي أوقدت إبداع أمير تاج السرّ فحولها بطريقة مخيالية إلى رواية يستشرف من خلالها ما

[1] - مكي سعد الله : المخيال الفني والأدب الغربي يستشرف حرب الكورونات مقارنة في المشهد والمنجز – مجلة سراج للأبحاث والدراسات - ، العدد 4 ، لندن ، بريطانيا ، 2021 ، الربيع ، ص 20 .
[2] - محمود قاسم : الخيال العلمي ، مصطلحات وأسماء ، المكتبة الأكاديمية ، القاهرة ، 2009 ، ص 15 .

حدث في سنة 2014 ،فعندما تقرأ الرواية تحس أنّها صدرت بعد انتشار الوباء ، وبهذا تكون خطاب أدبي مبدع يصف المستقبل ويتحدث عنه في أغلب الأحيان .

« وتتناغم أيضا جماليات الخطاب الخيالي العلمي من نسبية المصداقية والالتزام بتحقيق النبوءات فهو خطاب مقروء ومرئي يتمظهر في شكل آثار مفتوحة تستقرئ المستقبل فتبقى التساؤلات والاشكالات قائمة لا نهاية لها عكس السرديات التقليدية والواقعية التي تقترح حلولاً » [1]. يعني أنّ علوم الخيال العلمي تنطلق من ارهاصات واقعية تستشرف المستقبل وغالبا ما تكون توقعاتها صحيحة وتتحقق واقعيا وذلك بالجمع بين الواقع والخيال .

ب- الخيال في الرواية :

أوضح لنا أمير تاج السرّ قبل أن يبدأ بسرد الأحداث هذه الرواية أنّها محض خيال، وأنّ الرواية من صنع مخيلته « ... وهذه ليست قصة عامل النسيج ولا غيرهُ من الشخوص الذين وردوا في هذا النّص ، ولكنّها محض خيال بحت ، لا علاقة له بالحقيقة مطلقا حتى ما ذكر عن التمرد والحرب الأهلية ليس صحيحًا ، ولا يجب أن يحال إلى تواريخ حقيقية » [2].

لكن النّص يشير إلى واقعية الوباء مع نفي تطابق الشخوص والأحداث مع الحقائق وقد أبعدنا عن التسجيل التاريخي فلا يجب أن تحال إلى التواريخ الحقيقة فقد مُنِحَ المجال للخيال ليكون سيد الأحداث فعلى الرغم من أن الكاتب سرد أحداث الرواية تبقى ضمن مجال الخيال ، فلولا انتشار الوباء فعلا لن تجد داخل العمل الأدبي ما يؤكد حقيقتهُ ولصنّف ضمن أدب الخيال العلمي البحت ، لذا يجب على العمل الروائي أن يسرد أحداث محتملة الوجود لكن ليس بالكيفية التي عبّر عنها النّص الإبداعي ، وهذا ما وُجِدَ في الرواية ، فالتاجر الذي نقل العدوى تحول إلى عامل في مصنع يدعى لويس نوا ، والكثير من الأحداث والشخوص التي غُيرت وعُدِلَت لتلائم جو الرواية .

[1] - مجلة السراج ، مرجع سابق .
[2] - المدونة : إيبولا 76 ، ص 3 .

خاتمـــــــــــة

خاتمـــــــــــــــة

وفي الأخير نستخلص من خلال دراستنا لموضوع أدب الوباء في رواية إيبولا 76 لأمير تاج السرّ الذي جسّد لنا فيها العديد من الجوانب التي تخص الإنسانية حيث ألمت هذه المذكرة المتواضعة على أشهر الأوبئة التي ضربت البشرية بصفة خاصة وعلاقتها بالأدب بصفة عامة وكان بحثنا يتضمن فصلين أساسيين ، فصل نظري تضمن الأوبئة وتاريخها والفصل التطبيقي تمّ فيه تطبيق الجوانب التي خلّفها هذا الوباء في رواية إيبولا 76 ونهاية البحث توصلنا إلى هذه الباقة من النتائج :

- رغم أن الإنسان مرّ بعدة أوبئة إلاّ أنّه يقف عاجزًا أمامها ، فمنذ ظهور أول وباء إلى وباء كورونا المستجد لم تكن هناك وسيلة فعالة لمواجهة الوباء معترف بها .
- لقد حوّل الأدباء مأساة الشعوب التي تعرضت للوباء إلى حكاية تروى من خلال وصف الآلام النّفسية والجسدية ، وإخراج من المعاناة كلمات تصير في الأدب جروحًا تفيضُ سحرًا واصفين حجم المعاناة مقدمين واجب المواساة بالأدب ، وفرضت على المؤلفين تسجيل حجم الدّمار الذي أحدثته في المجتمعات التي انتشر فيها فقد عُنيَ الأدب منذ القدم بالحديث عن الكوارث .
- يُبين لنا أمير تاج السرّ في روايته إيبولا76 أنّ الجهل والتخلّف والفقر والبطالة أخطر من الفيروس القاتل ، فالوباء الذي يواجهه الشعب ما هو إلاّ نتيجة لمقدمات تسبقه فغياب الرّعاية الصّحية والتعليم والانحلال الأخلاقي هو السبب الرئيسي في انتشار الوباء بشكل سريع ، ولو أنّه لم ينتشر في إفريقيا العالم الثالث وانتشر في دولة متقدمة ، لكان هناك إمكانية السيطرة عليه بشكل أسرع.
- نقلنا أمير تاج السرّ إلى عالم المأساة حيث يظهر الإنسان على شكله الحقيقي متمسكًا بالأمل الذي لا يملك خيار سواه .
- تعتبر رواية أمير تاج السرّ رواية استشراف الخيال العلمي انطلاقًا من فيروس حقيقي فقد سرد المستقبل بالاستعانة بخلفيته الطبية التي ساعدته على الإبداع بطريقة سحرية وكوميديا سوداوية صنعتها أحداث الرواية .

وخلاصة القول تبقى الوقاية هي الحل الأمثل لتجنب الإصابة بمثل هذه الأوبئة الفتّاكة ، كما توصي بأن نهتم الدول بتوعية الشعوب عن طريق وسائل الإعلام المختلفة وما أكثرها وما أوفرها في عصرنا هذا .

وفي الختام نحمد الله عزّ وجل الذي أعاننا على الانتهاء من هذا البحث ، وما تمّ تقديمه إنّما هو فضل من الله وفي هذه الخاتمة هي نهاية مشوارنا وجُهدنا بعد توفيق الله والله يعلم بأنّنا بذلنا قُصارى جهدنا لكي نقدم لسيادتكم هذا البحث بالشكل الذي عليه ، والذي يليق بموضوع البحث وأهميته ، ونتمنى أن يكون هذا البحث قد نال إعجابكم وأن يكون له اثر في إثراء الفكر الإنساني ، ورغم هذا الجهد الكبير إلاّ أنّنا لا يمكن أن نجعله كامل ، فالكمال لله تعالى وحده فإن أخطأنا فمن أنفسنا وإن أصبنا فمن الله وحده ونشكره على ذلك .

ملخص الروايـة

ملخص :

لقد كان موضوع الوباء تقليدًا أدبيا مبثوثا في التاريخ الأدبي ، وأخذ مكانا متميزًا في الأدب العالمي والتراث الأدبي العربي ، فتجربة الألم وكتابته تجربة استثنائية حركت أقلام الكثير من المبدعين قديمًا وحديثًا ، فالميزة الأهم للمبدع قدرته على التغيير ، وأن يقول ما يشعر به الآخرون ولا يقدرون على وصفه ، فالجوائح التي تصيب البشرية عبر التاريخ حركت أقلام العديد من المبدعين وكان عنوان دراستنا **أدب الوباء في رواية إيبولا 76** لأمير تاج السرّ دراسة موضوعية وقد رسمنا خطة مكونة من فصلين ، الفصل الأول تناولنا فيه الأوبئة وتاريخها ، أمّا الفصل الثاني تناولنا فيه تمظهرات الوباء في رواية إيبولا 76 ، اعتمدنا على المنهج التحليلي لمناقشة هذه الدراسة .

الكلمات المفتاحية :

رواية إيبولا 76 ، الجوائح ، أدب الوباء ، أمير تاج السرّ ، الطاعون ، الأعمال الأدبية ، المجتمعات البشرية .

summary

The topic of the epidemic was a literary tradition enshrined in literary history, and it took a distinguished place in world literature and the Arab literary heritage. The experience of pain and its writing is an exceptional experience that moved the pens of many creators, past and present. Describing it, the pandemics that afflict humanity throughout history moved the pens of many creators. The title of our study was the literature of the epidemic in the novel Ebola 76 by Amir Taj Al-Sir. An objective study. We drew a plan consisting of two chapters. The first chapter dealt with epidemics and their history. Ebola 76, we relied on the analytical approach to discuss this study.

key words :

Ebola 76 novel, pandemics, epidemic literature, Amir Taj Al-Sir Crown, plague, literary works, human societies.

ملاحق

الملحق الأول : نبذة عن المؤلف أمير تاج السرّ

مولده ونشأته :

أمير تاج السرّ طبيب وروائي سوداني ولد شمال السودان عام 1960 تلقى تعليمه الأول هناك ، وعاش بمصر بين عامين 1980 – 1987 حيث تخرج من كلية الطب جامعة طنطا وعمل طبيبًا باطنيا بالعاصمة القطرية بالدوحة

بدأ ممارسة الكتابة في مراحل مبكرة جدًا من حياته ، ففي المرحلة الابتدائية كان يكتب قصص بوليسية تقليدًا لما كان يقرأه أثناء الطفولة ، وفي المرحلة المتوسطة بدأ يكتب الشعر بالعامية وتغنى مطربون فيما بعد بالكثير من أشعاره ، واستمرت كتابة الشعر حتى خلال دراسته للطب ، وأصدر دواوين شعرية بالعامية السودانية ، وفي عام 1985 بدأ يكتب الشعر بالفصحى ، ووصل لمراحل متقدمة ، وكانت قصائده تنشر في مجلات كبيرة ومزدهرة في ذلك الوقت مثل « – القاهرة – إبداع – والمحلّة – الشرق الأوسط » وكان يتوقع الكثير من أصدقائه أن يظل مستمرا في كتابة الشعر ، لكنّه في عام 1988 كتب رواية اسمها « كرمكول » والتي كلفته رهن ساعته ليتمكن من طباعتها ، وكان حينها أنهى دراسته في جمهورية مصر العربية ، ويستعد للعودة ورغم كونها رواية صغيرة، فوجئ بأنّها أحدثت أصداء كبيرة في القاهرة ويقول تاج السرّ « أكتب في النهار من الثامنة صباحًا وحتى الثانية عشر ظهرًا قبل أن أذهب لعملي ، إنّها وظيفة معنوية لكنّها تغدو أشبه بالرسمية »

أهم أعماله :

أ– دواوينه الشعرية :

- قصائد من السودان بالاشتراك مع جبيلي عبد الرحمان ، دار الفكر بالقاهرة 1956م .
- القلب الأخضر ، دار الجبل بيروت 1968 م .
- قصيدتان لفلسطين ، دار الجيل 1991 م .
- النحلة تسأل أين النّاس 1992 م ؟ .
- الآتون والنبع 1992 م .

- الشعر في زمن القهر ، دار مروى السودانية .

ب- الروائية :

- مهر الصيّاح 2009 .
- زحف النمل 2008 .
- توترات القبطي 2009 .
- العطر الفرنسي 2009 .
- صائد اليرقات 2010 .
- إيبولا 76 2012 .
- أرض السودان الحلو والمر 2011 .
- تعاطف 2011
- طقس 2015 .
- سيرة الوجع 2001 .

وفاتـــــــــــــــــــه :

توفي الشاعر أمير تاج السرّ الحسن ودُفن في مقابر البنداري بالحاج يوسف في أطراف العاصمة السودانية الخرطوم يوم 14 مايو 2013 .

التعريف بالرواية :

رواية إيبولا 76 هي رواية من إنتاج أمير تاج السرّ المؤلف السوداني الصادرة عن دار الساقي أواخر سنة 2012 يبلغ عدد صفحاتها 144 صفحة حيث أوضح الكاتب السوداني أمير تاج السرّ عبر حسابه على منصة التغريدات " تويتر " أنّ هذه الترجمة لرواية إيبولا 76 صدرت عن دار بيلجي في اسطنبول ونقلها إلى اللغة التركية المترجم الدكتور مصطفى إسماعيل لافتًا إلى أنّ هذه هي اللغة التاسعة التي تُترجم لها هذه الرواية، والرواية تتحدث عن رجل كان يذهب إلى الكونغو لأغراض غير بريئة في زمن يتخلله الجهل والخرافة ليلتقط هناك الفيروس القاتل ، لكنّ المرض لم يقضي عليه بقدر ما يتخذه جسرًا يعبر نحو جنوب السودان وفي هذه المأساة يبقى التاجر تاجرًا لا يتوقف عن الجشع ويبقى الجاهل هو الحاكم الأول ولا شيء يتغير هناك والحياة هي شكل على الدمار .

ملخص الرواية :

رواية إيبولا 76 كتبها المؤلف والطبيب السوداني أمير تاج السرّ 2012 تروي الرواية المكتوبة في الأصل باللغة العربية تفشي فيروس إيبولا 1976 في السودان .
تدور أحداث الرواية في 1976 بين دولة الكونغو وجنوب السودان وقع فيروس يُسمى بالحمى النزيفية الذي كان يسببه فيروس إيبولا في عشش الكرتون أحقر حي سكني في منطقة أنزار جنوب السودان ، يكبر " لويس نوا " على وقع طفولة بائسة ، الشاب الذي يعمل في مصنع للنسيج يقرر الزواج بأول فتاة يراها تبتسم " تينا " بائعة الماء في الشوارع ستصبح زوجته ، لكنّ العامل البسيط ما يلبث أن يخونها مع خادمة الغرف في نزل للفقراء في كينشاسا ، وفي ظُهر أغسطس يوم حار سيلاحق " إيبولا " الفيروس القاتل الذي ضرب الكونغو ، جسد نوا ليسكن دمه ، ويغادر الفتى الإفريقي إلى بلاده ، بعد رحلة حزن إلى الكونغو ليصبح من دون أن يدري جسرًا يعبر عليه المرض المميت إلى أنزارا .

عبر فكرة القتل المحتمل ، يرصد أمير تاج السرّ عوالم غرائبية محاولاً إيجاد مدينة عادية فيها شوارع ومتاجر وملاهٍ ومواخير وزيجات وطلاقات وقصص حب كاملة وناقصة الرواية في الصحافة يقول الكاتب السوري صالح الرزوق في جريدة القدس العربي «ترتبط رواية إيبولا 76 لأمير تاج السرّ مع طاعون لألبير كاموا ، بالعنوان الوبائي ، وإذا كان العنوان هو أول نافذة على العمل فإنّ التفاصيل تحمل المزيد من التشابه » في هذه الرواية في تصورات واقعية وخيالية .

فهرس الموضوعات

قائمة المصادر :

أولا :القرآن الكريم برواية ورش

ثانيا : الرواية :

- رواية إيبولا 76 للكاتب أمير تاج السرّ الصادرة عن دار الشافي سنة، النشر 2012

قائمة المراجع :

أولا : المراجع باللغة العربية

الرقم	المراجع باللغة العربية
01	إبراهيم بن موسى الخلصي الشاطبي : الموافقة في اصول الشريعة ، دار الكتب العلمية ، (د.ط) ، سنة 2010.
02	ابن القيم الجوزية : الطب النووي لابن القيم ، دار الفكر للطباعة ، ط2 ، بيروت ، 30/10/2006 .
03	ابن حجر العسقلاني : بذل الماعون في فضل الطاعون ، دار العاصمة ، ط1 ، الرياض ، . 06/07/2005
04	ابن حزم الأندلسي : حجة الوداع تحقيق أبو صهيب الكرمي ، بيت الأفكار الدولية للنشر ، الرياض ، 1428هـ ، 1998م .
05	ابن عبد ربه الفريد : تج : عبد المجيد الترحيبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج2 ، ط1 ، 1982 .
06	أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب : المنتقى شرح الموطأ ، مطبعة السعادة ، ط1 ، مصر ، 1332 .
07	الكتب الستة صحيح البخاري : إشراف صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ، رقم الحديث 3474 ، ص274 ، رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ، عن عائشة /ج/60 .
08	المتنبي : قصيدة زائرة الليل ، شرح ديوان المتنبي ، وضعه عبد الرحمان البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، 1986م
09	أمير تاج السر : صورة المأساة في رواية إيبولا 76 ، المؤتمر الدولي الأول الوباء في الأدب العربي/الالكتروني ، الأدب الوبائي ، 2020 .

10	بدر الدين العيني : عمدة القارئ شرح صحيح البخاري ، إحياء التراث العربي ، ط2 ، بيروت ، 2001 .
11	جوزيف بيرن : الموت الأسود ، ترجمة عمر سعيد الأيوبي ، ط1 ، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة ، مشروع " كلمة " ، أبو ظبي ، 2013 .
12	عبد الرحمان الأغبري : منهج الإسلام في التعامل مع الأوبئة وسبل الوقاية منها ، كورونا إشكاليات وحلول ، المنتدى العربي التركي للتبادل اللغوي ، الطبعة الأولى ، 2020 .
13	محمد بن أحمد بن إياس الحنفي المصري : بدائع الزهور في وقائع الدهور ، دار مطابع الشعب ، القاهرة ، مصر ، 1960 .
14	محمد سالم : أدب الأوبئة في التراث النقدي البلاغي ، دراسة في شعر علي الدرويش ونقولا الأسطنبولي ، المجلة العربية مداد ، المجلد 4 ، العدد 11 ، قسم اللغة العربية ، كلية اللغات جامعة السلطان زين العابدين ، ماليزيا ، 2020 .
15	محمود قاسم : الخيال العلمي ، مصطلحات وأسماء ، المكتبة الأكاديمية ، القاهرة ، 2009 .
16	محمود محمد علي : جائحة كورونا وطاعون الكوليرا في عهد محمد علي .
17	مكي سعد الله : المخيال الفني والأدب الغربي يستشرف حرب الكورونات مقارنة في المشهد والمنجز – مجلة سراج للأبحاث والدراسات – ، العدد 4 ، لندن ، بريطانيا ، 2021 .
18	مهندس سليم المجند : جرائم نقل العدوى – دراسة مقارنة المصري والفقه الإسلامي والنظام السعودي – ، مكتبة حسن العصرية للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1 ، 2012.
19	هيبة عامري : الأدب الوبائي تحت مظلة كورونا ، تمثلات جديدة لكتابة فيروسية فائقة .
20	يحي بن شرف النووي : صحيح مسلم يشرح النووي مواقف للمعجم المفهرس للألفاظ الحديثة ، مؤسسة قرطبة ، ط2 ، اسبانيا ، 1994 .
	نازك الملائكة : قصيدة الكوليرا ديوان نازك الملائكة ، دار العودة ، بيروت ، المجلد 2 ، 1997 .

ثانيا : الأطروحات والرسائل الجامعية

الرقم	الأطروحات والرسائل الجامعية
01	**عبد القادر توران :** الشعور بالاغتراب عند أبي علاء المعرّي وألبير كامو ، أطروحة دكتوراه ، إشراف الطاهر حجار ، جامعة الجزائر .

ثالثا : المعاجم والقواميس

الرقم	المعاجم والقواميس
01	**معجم الوسيط :** إبراهيم مصطفى ، أحمد حسن حامد عبد القادر ، محمد على النجار ، ج1 ، المكتبة الإسلامية .

رابعا : المجلات والجرائد والصحف

الرقم	المجلات والجرائد والصحف
01	**مجلة الشروق الهندي :** أمل الوزير ، أثر جائحة كورونا على الأنظمة السياسية في منطقة الشرق الأوسط ، المجلد 4 ، جامعة اللغة العربية آسم الهند قسم اللغة العربية ، سنة 2020 .
02	**مجلة الأنساق :** حميد المساوي ، خطاب الوباء في الآداب والاعلام ، دراسة لسانية اجتماعية ، الإعلام المغربي أنموذجًا ، المجلد 5 ، العدد 2 ، تصدر عن كلية الآداب والعلوم ، دار نشر جامعة قطر ، 2022 .
03	**مجلة الشروق الهندي :** خيرة بوخاري ، تيمة الوباء في المنجز الشعري العربي مقاربة بين القديم والحديث ، العدد 1 ، المجلد 3 ، 2020 ، جامعة آسام ، سيلتشار ، الهند .
04	**مجلة جامعة النجاح للأبحاث العلوم الإنسانية :** رائد عبد الرحيم : رسالة النبأ عن الوباء ، لزين الدين ابن الوردي ، ، مجلد (5)24 ، 2010 .
05	**مجلة الساورة للدراسة الإنسانية والاجتماعية :** شعوفي قويدر : الفلسفة والأوبئة ، كوفيد 19 نموذجا ، ، المجلد 4 ، جامعة طاهري محمد ، بشار ، الجزائر ، العدد 2 ، 2021 .
06	**مجلة القارئ للدراسة الأدبية والنقدية واللغوية :** عزيزة زواش ، تبيل مزوار : دار الشخصية الروائية في التعدد اللغوي رواية ليليات رمادة للروائي الجزائري واسيني الأعرج عينة ، المجلد 5 ، العدد 4 ، نوفمبر 2022 .

07	**مجلة العلوم الشرعية واللغة العربية :** فهد إبراهيم سعد البكر : السرديات الوبائية في زمن جائحة كورونا كوفيد 19 ، قراءة أجناسية أولى لبعض النماذج المواكبة ، عدد خاص ، المجلد 7 ، العدد 2 ، 2022 .
08	**مجلة جامعة دمشق :** برهان أبو عسلي : أوديب ملكا تسوفوكليس ، قراءة جديدة ، المجلد 3 ، العدد 2+1 ، قسم اللغة العربية ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة دمشق ، 2014 .

خامسا : المواقع الالكترونية

الرقم	المواقع الالكترونية
01	إعلان الصحة العالمية ، ارتفاع وفيات إيبولا إلى 4922 ، العربية Skynews ، 2014 ، www.skynewsarabia.com، تمّ الاطلاع عليه بتاريخ 2023/04/04 ، على الساعة 14.48 سا .
02	الأمم المتحدة أخبار الأمم المتحدة جمهورية الكونغو الديمقراطية ، نقلت نهاية تفشي مرض إيبولا فيما تواصل أوغندا المجاورة جهود احتوائه 27 أيلول / سبتمبر 2022 www.news.un.org تم الاطلاع عليه 21 ماي2023 ، على الساعة 11.30 سا .
03	الصحة العالمية تعتبر إيبولا طوارئ صحية قلقًا دوليًا 2019/07/19 www.aljazeera.net.comتمّ الاطلاع عليه 2023/05/14 على الساعة 06.55 سا .
04	المدونة : إيبولا 76 ، تمزج بين الواقع والخيال ، حوار مع الروائي أمير تاج السرّ ، العربية سكاي نيوز 2014 www.skynewsarabia.com . ، تمّ الاطلاع عليه 2023/05/11 ، على الساعة 11.43 سا.
05	أنور أبو طه : منظمة التحرير الفلسطينية تقييم التجربة وإعادة البناء ، الخميس 22 فبراير 2007 ، www.alzalouna.net، تمّ الاطلاع عليه الاثنين 2023/05/22 ، على الساعة 12.14 سا.
06	أوبئة بلاد العرب ... تاريخ أخطر الطواعين منذ عهد عمر بن الخطاب doc.aljazeera.netنشر بتاريخ16/04/2020 ، تم الاطلاع عليه 2023/03/21 ، على الساعة 15.00 سا .
07	إيبولا منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة www.fao.o.r.j.com تم الاطلاع عليه11/05/2023 ، على الساعة 11.49 سا .
08	جمال عبد الناصر : 10 مسرحيات تناولت انتشار الأوبئة في العالم ... تعرف عليها ، عين المشاهير 2020 ، تارخ الاطلاع عليه 2023/04/27 على الساعة 01.11 سا . www.ain.net
09	رابح خالدي : أوبئة ضربت البشرية 1/5 : طاعون أثينا أول وباء وثقه التاريخ Phics.france24.com 2020 الاطلاع عليه 2023/03/25 ، على الساعة 13.47 سا .

10	سعيد بوطاجين : الأدب والأوبئة ، مرايا عاكسة www.culture.gov.dz 2016 تم الاطلاع عليه 2023/03/24 على الساعة 12.21 سا .
11	شيرن ماهر ، واسيني الأعرج : ليليات رمادة ، محاولة لتجاوز الواقع ، الدوحة ، وزارة الثقافة ، دولة قطر 7 يوليو 2021 ، www.dohamagazine.qa تاريخ الاطلاع عليه 2023/04/10 على الساعة 15.53 سا
12	ضياء عبد الله الكعبي : في جلسة افتراضية ببحر الثقافة ، أدب الأوبئة بين الخيال والواقع ، بحث على موقع www.alittihad.ae اطلع عليه يوم 2023/02/07 على الساعة 20.28 سا .
13	عبد الرحمان حبيب : تاريخ الأوبئة في العالم https://m.youn7.com اليوم السابع 2022 ، تم الاطلاع عليه 2023/03/25 على الساعة 12.40 سا .
14	علا شحود : بين الحقيقة والرمز كيف يحصر الوباء في الأدب ، بحث موقع الميدان نت 2020 ، ثقافة وفنون www.almagadeen.net اطلع عليه يوم 07/02/2023على الساعة 20.04 سا
15	فدوى طوقان : قصيدة الطاعون ، الديوان مرجع سابق www.diwandit.com/poemتاريخ الاطلاع 2023/04/27 على الساعة 18.54 سا.
16	فيديل سبيتي : سيكولوجية البشر في أزمة انتشار الأوبئة ، السبت 12 مارس 2020 ، الساعة 20.26 سا www.ependenlarabia.com ، تمّ الاطلاع عليه يوم 2023/05/14 ، على الساعة 11.00 سا .
17	فيروس إيبولا وكيفية انتقاله إلى الإنسان عربي 2016 http://arabic.euronwes.com ، تمّ الاطلاع عليه 2023/05/22 ، على الساعة 13.49 سا.
18	قبل 40 عاما ... فيلم « عيون الظلام » يتحدث عن الكورونا 2020 ، البشائر www.albashayer.comتمّ الاطلاع علية بتاريخ 2023/04/27 على الساعة 01.03 سا .
19	مصطفى أبو سينة : الوباء في الأدب زالشعر العربي ، نون بوست ، أدب وفن ، 2020 . اطلع عليه بتاريخ 2023/04/27 ، على الساعة 11.55 سا www.noonpost.com .
20	مصطلحات طبية : الأمراض المعدية ، الوباء . اطلع عليه يوم 20-03-2023 12.31 سا https://www.altibbi.com
21	منى عبد الفتاح : التداعيات الإقليمية لصراع شرق الكونغو الديمقراطية سنة 2020 ، www.ependenlarabia.comتم الاطلاع عليه يوم 2023/05/13 ، على الساعة 07.16 سا .
22	نظرة الشرع للخيانة الزوجية وضرورة ضبط المصطلحات 4-24-www.fatwa.tsbamwebnetاطلع عليه بتاريخ 2023/05/12 ، على الساعة 4.42 سا .

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضـــــــــــــــــــــــــــــــوع	رقم الصفحة
مقدمة	01 – 04
الفصل الأول : الأوبئة وتاريخها	05 – 35
تمهيـــد	06
المبحث الأول : مفهوم الوباء	08
الوباء	08
أ- لغـــــــــة	08
ب- اصطلاحا	09
الأوبئة وتاريخها	12
أشهر الأوبئة التي مرت عبر التاريخ	14
2-1- وباء أثينا 430 قبل الميـــــــــلاد	14
2-2- طاعـــــون عمـــــــــواس 640 م	15
2-3- الطاعون الأسود : الموت الأسود 1331ه – 1447 م	17
2-4- الكوليرا (1817 م – 1823 م)	19
2-5- فيروس كورونا المستجد (كوفيد 19) 2019 – 2022	21
المبحث الثاني : علاقة الأدب بالوباء	23
1- مفهوم أدب الوبـــــــاء	25
2- تفاعل الأدب مع الوباء	26
1-الأعمال النثرية	26
1-2- رواية الطاعون ألبير كامبو 1947 م	26
2-ليليات رمادة " واسيني الأعرج "	28
3-الحب في زمن الكوليرا غابريا غرسيا ماركيز	29
2-2- الأعمال الشعرية	31
قصيدة الطاعون 1967 لفدوى طوقان	33
2-3- السينما	33

أ- فيلم عيون الظلام	33
ب- المسرح	34
مسرحية أديب ملكا	34
الفصل الثاني : تمظهرات الوباء في رواية " إيبولا 76 "	36 – 62
- التعريف بفيروس إيبولا	37
المبحث الأول : صورة الوباء في رواية " إيبولا 76 "	38
1- إيبولا الوباء القاتل	38
2- الوبائية في الرواية	40
2-1- الجانب الاجتماعي	40
2-2- الجانب النّفسي	43
2-3- البعد الديني والعقائدي	46
2-4- الجانب السياسي	48
2-5- الجانب الطّبي	51
2-6- الجانب الصّحي	53
2-7- الجانب الثقافي	55
المبحث الثاني : التصورات الواقعية والخيالية	56
1- البعد الواقعي	57
2- البعد الخيالي	60
أ- الخيال العلمي والاستشراف	60
ب- الخيال في الرواية	61
الخاتمة	63 – 65
ملخص	66 - 67
الملاحق	68 – 71
قائمة المراجع والمصادر	72 – 77
فهرس الموضوعات	78 - 80